الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلّية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصّص: أدب عربي حديث ومعاصر

الموضوع:

صورة المظلوم في رواية المضطهدون للهاشمي سعيداني

إعداد الطّالبة:
■ فتيحة تلمساني

إشراف:
■ أد. أمينة بن جماعي

لجنة المناقشة		
الدّكتور	أحمد قريش	رئيسا
الدّكتور	محمد ملياني	ممتحنا
الأستاذة الدّكتورة	أمينة بن جماعي	مشرفة ومقرّرة

العام الجامعي : 1439هـ-1440هـ /2018م-2019م

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾

سورة الزّمر الآية 09.

إهداء

- إلى من أمرني الله ببطاعتهما والإحسان إليهما: **"أمّي"** و**"أبي"** حفظهما الله ورعاهما.
- إلى أخواتي.
- إلى رفيقات دربي: سارة، إيمان، سمية.

فتيحة

شكر وعرفان

- الشّكر لله سبحانه وتعالى على نعمه وتوفيقه لي لإنجاز هذا العمل.
- أتوجّه بالشّكر والعرفان لأستاذتي الكريمة: **"أمينة بن جماعي"** التي أنارت لي دربي بنور بصيرتها وصفاء فؤادها، ووجّهتني كما توجّه الأمّ بناتها؛ والأستاذة طلبتها فلم تبخل عليّ بنصائحها وتوجيهاتها.
- ولا يفوتني في هذا المقام أن أوجّه شكري وفائق امتناني إلى لجنة المناقشة؛ وإلى كلّ من قدّم لي يد العون والمساعدة سواء من قريب أو من بعيد.

فتيحة

مقدّمة

عالجت الرّواية الجزائرية عددًا من الموضوعات وطرحت عددًا من الإشكاليات، من هذه الإشكاليات ما هو إنساني، ما هو سياسي، ما هو اجتماعي، وما هو فكري.

ومن بين هؤلاء الذين طرحوا هذه القضيّة الإنسانية "الهاشمي سعيداني" في روايته "المضطهدون"، حيث طرح تيمة الاضطهاد وعلاقة الظّالم بالمظلوم من خلال مجموعة من التّساؤلات:

كيف عالجت الرّواية فكرة الظّلم؟ وكيف جسّدت ثنائية الظّالم والمظلوم؟ وأخيرا ما مدى تجلّي الظّلم في المجتمع؟

وبطبيعة الحال وراء كلّ موضوع دوافع شخصية وعلمية تدفع إلى البحث فيه، ولقد وقع اختياري على هذا الموضوع لأسباب موضوعية وذاتية:

الموضوعية هي: قلّة الدّراسات التي تناولت صورة المظلوم في المجتمع الجزائري في فترة زمنية معيّنة دون إغفال التّعريف بالرّوائي "الهاشمي سعيداني" من خلال إبداعه الفني "المضطهدون" ونفض الغبار عنه.

أمّا الذّاتية فهي: انجذابي للأدب الجزائري الذي نما في قلبي بفضل دراستي لمجموعة من المقاييس التي تناولته.

ومن هذا المنطلق حاولت تتبّع المظلوم الجزائري إبّان الاحتلال الفرنسي باتّخاذ رواية "المضطهدون" ل"الهاشمي سعيداني" أنموذجا للدّراسة، وبذلك يكون البحث موسوما ب:"**صورة المظلوم في رواية المضطهدون للهاشمي سعيداني**".

ومن أهمّ المصادر والمراجع التي لها علاقة بالموضوع:

- دراسات ومقالات في الرّواية لإبراهيم سعدي.
- "إنكار الظّلم في ضوء الكتاب والسنّة" لمحمّد إبراهيم أحمد سيف وهي أطروحة ماجيستر في أصول الدّين.

جاء البحث في مدخل وفصلين:

عرضت في المدخل لمحة تاريخية عن الرّواية من خلال دراستي لنشأة الرّواية العربية وبدايات الرّواية الجزائرية.

الفصل الأوّل جاء بعنوان: "المظلوم قراءة في المفهوم والمصطلح والأنواع"، وقد قسّمته إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأوّل عرّفت فيه المظلوم عند أهل اللّغة؛ أمّا الثّاني فتناولت فيه تعريف المظلوم اصطلاحيا ومواطن ذكره في القرآن الكريم والسنّة النّبوية والشّعر العربي، أمّا فيما يخصّ المبحث الثّالث فتطرّقت فيه إلى أصناف المظلومين المتواجدة في المجتمعات.

أمّا الفصل الثّاني فكان تطبيقا لما جاء في الفصل الأوّل فحمل عنوان: "تجلّيات صورة المظلوم في رواية المضطهدون"، حيث قسّمته إلى ثلاثة مباحث: الأوّل تجلّيات المظلوم في عتبة النصّ الرّوائي وذلك بفكّ شفراتها واستخراج صور المظلوم منها، والمبحث الثّاني ضمّ تلخيصا للرّواية، وجاء المبحث الثّالث يؤطّر لصور المظلوم في الرّواية.

وأخيرا أنهيت بحثي بخاتمة رصدت فيها أهمّ النّتائج المتوصّل إليها.

ومن أهمّ المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث:

-رواية "المضطهدون" للهاشمي سعيداني".

-الرّواية العربية الجديدة (الوجود والحدود) لسعيد يقطين.

-الظّلم بين الإسلام والهندوسية والبوذية دراسة مقارنة لمحمد رفيق فرخ أحمد عبد القادر.

كما دعمت بحثي بمصادر ومراجع أخرى لا تقلّ أهمّية عن التي ذكرتها والتي ساعدتني على إكمال هذه الدّراسة.

أمّا فيما يخصّ المنهج المتّبع في هذا البحث فاعتمدت على المنهج التّاريخي الذي تتبّعت به مسار الرّواية العربية الجزائرية، بالإضافة إلى المنهج الوصفي التّحليلي النّفسي وهذا ما تطلّبه موضوع البحث.

وكأيّ بحث فقد اعترضتني بعض الصّعاب لكنّني تجاوزتها بفضل الله سبحانه وتعالى.

ويبقى هذا الموضوع مقترحا لدراسات أخرى قد تخرج بنتائج لم يصل إليها بحثي الذي لا أزعم له صفة الكمال.

وفي الختام أتقدّم بالشّكر الخالص إلى كلّ من مدّ لي يد العون لإتمام هذا البحث.

الطّالبة: فتيحة تلمساني.

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان.

كلّية الآداب واللّغات.

قسم اللّغة والأدب العربي.

تلمسان يوم: 28 شوّال 1440هـ.

الموافق ل: 01 جويلية 2019م.

المدخل:

01. نشأة الرّواية العربية.

02. بدايات الرّواية الجزائرية.

تعدّ الرّواية جنسا أدبيا من أهمّ الأجناس النّثرية وعملا سرديّا شغل النّقاد والدّارسين في الغرب وعند العرب، حيث تعدّدت أنواعها بتعدّد الموضوعات التي تطرّقت إليها.

01. نشأة الرّواية العربية:

كانت الرّواية محلّ إشكال حيث واجهت أسئلة كثيرة فهي تعتبر "من القضايا المركزية المثارة في الفكر الأدبي العربي"[1]، فقضية نشأة الرّواية تدور "حول سؤال مركّب: هل الرّواية قديمة قدم الإنسان العربي؟ أم أنّها نوع جديد (دخيل)؟".[2]

والجليّ هنا أنّ الإشكالية تدور حول الإرهاصات الأولى للرّواية وبالتّالي فإنّ هذه الأخيرة حظيت باهتمام النّقد فانقسم "الدّارسون بصددها إلى قسمين كبيرين: من يرى بوجودها في التّراث العربي، ومن يؤيّد ارتباطها بالغرب، شغلت القضية نفسها بال النّقد الرّوائي بوجه خاص على صعيد كلّ قطر عربي على حدة فراح الدّارسون بحسب انتماءاتهم القطرية، يبحثون عن النصّ أو النّصوص التي يعتبرونها بداية تشكّل الرّواية".[3]

والظّاهر أنّ الباحث وقف موقفين متعارضين، موقف يرى من خلاله أنّ الرّواية نشأت عند العرب قديما، وآخر يتجسّد في تأثّرها بالرّواية الغربية، كأيّ جنس أدبي لم تولد ولم تنمو من الفراغ بل كانت حاضرة في التّراث العربي ولكن بصورة أخرى غير التي هي عليها اليوم لأنّ "القضية وما فيها هي أنّنا، ببساطة، على المستوى الأدبي لم تكن نميّز بين الأجناس والأنواع لأنّنا لا نجد في تراثنا نظرية للأجناس والأنواع".[4]

---

[1] سعيد يقطين، قضايا الرّواية العربية الجديدة (الوجود والحدود)، رؤية للنّشر والتّوزيع، 2010م، ص29.

[2] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص93.

[4] المرجع نفسه، ص30.

إذن فإنّ افتقار التّراث الأدبي العربي لمصطلح الأجناس الأدبية ومشكلته في دمج بعضها ببعض، أدّى بنا إلى عدم التّمييز بينها.

أمّا الرّواية العربية في العصر الحديث فظهرت "عن طريق التّطوّر الذي نجم عن طريق ظهور وسائط تكنولوجية جديدة أدّت إلى بروز وسائط جديدة في الإبداع والتّواصل والتّلقّي".[1]

يبدو أنّ التّكنولوجيا التي كان لها دور كبير في ظهور الوسائط الجماهيرية ومن هذه الوسائط الصّحافة التي لعبت "دورا كبيرا في طبع الرّواية بسمات خاصّة على مستوى تشكّلها (الرّواية المسلسلة)* وبعدها الواقعي (الارتباط بالحياة اليومية)".[2]

إذن للوسائط الجماهيرية دور مهمّ في نشر المادّة الخبرية الحكائية للرّواية.

ومن المرجّح أن يكون قد ظهر في الغرب و"ازدهر هذا النّوع من الرّواية أثناء القرن السّادس عشر، وذلك كمعظم الأنواع السّردية الأخرى، في وقت كانت السّلطة السّياسية فيه آيلة إلى البرجوازية".[3]

وبالتّالي فإنّ هذه الفترة، عرفت أوجّ الازدهار والتّطوّر للأجناس الأدبية السّردية، فكان للرّواية مقام كمثيلاتها من الأشكال الأخرى.

---

[1] سعيد يقطين، قضايا الرّواية العربية الجديدة (الوجود والحدود)، ص46.

[2] المرجع نفسه، ص49.

* هي رواية تصدر مسلسلة في الصّحف.

[3] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرّواية (بحث في تقنيات السّرد)، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م، ص30.

أمّا الرّواية في البيئة العربية فهي حديثة النّشأة، إذ كانت بدايتها "الأولى من بلاد الشّام ومصر في أواخر القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، وتطوّرت تطوّرا ملحوظا وتأخّر ظهورها في أقطار أخرى".[1]

فمصر وبلاد الشّام كانتا مهد الرّواية العربية، حيث ولدت فيهما وترعرعت بخلاف بقاع أخرى التي عرفت عقما، وذلك في أواخر القرن التّاسع عشر ومستهلّ القرن العشرين.

والسّبب الذي أدّى إلى ظهور الرّواية في الشّام ومصر "ظهور الوسائط الجماهيرية وما يتّصل بها من تحوّلات وتغيّرات تمسّ مختلف العلاقات الاجتماعية والثّقافية في هذه الأقطار".[2]

فالرّواية تستمدّ أحداثها من واقع جماهيري وعلاقته بالتّقلّبات التي تمسّ شتّى المجالات، فوجدت المجال مبسوطا في بلاد الشّام ومصر ما جعل ظهورها سابق فيهما.

02. بدايات الرّواية الجزائرية:

تعدّ نشأة الرّواية الجزائرية جزء من نشأة الرّواية في الوطن العربي"حيث لها جذور عربية وإسلامية مشتركة كصيغ القصص القرآني والسّيرة النّبوية ومقامات الهمذاني والحريري والرّسائل والرّحلات".[3]

والظّاهر في المسألة أنّ الرّواية العربية الجزائرية ليست وليدة اللّحظة لأنّها استوحت عناصرها السّردية من إبداعات أخرى في الوطن العربي.

---

[1] سعيد يقطين، قضايا الرّواية العربية الجديدة (الوجود والحدود)، ص94.

[2] المرجع نفسه، ص95.

[3] شادية بن يحي، الرّواية الجزائرية ومتغيّرات الواقع،www.diwanalarab.com

وبذلك يكون "أوّل عمل روائي في الجزائر وهو حكاية العشّاق في الحبّ والاشتياق لمحمد بن إبراهيم الذي يدعى الأمير مصطفى، والذي يعود إلى تاريخ 1849م".[1]

وبهذا العمل الفني تكون الجزائر سبّاقة إلى الإبداع الرّوائي الذي تمّ اكتشافه "مخطوطا بالمكتبة الوطنية بالجزائر، من طرف أبو القاسم سعد الله، والذي عثر على المخطوط ونفض عنه غبار الصّمت، وأعلنه تحقيقا ونصّا روائيا مكتوبا".[2]

ويبدو في نظر ثلّة من النّقاد أنّ هذا النصّ غير ناضج فنيا فقد اعتبروه حكاية أو قصّة طويلة، ثمّ جاءت بعده (رواية غادة أمّ القرى لأحمد رضا حوحو سنة 1943م).[3]

وبذلك نكون أمام إبداع روائي تجريبي يبحث عن الكمال الفني، حيث قال عنها واسيني الأعرج أنّها ظهرت "كتعبير عن تبلور الوعي الجماهيري بالرّغم من آفاقها المحدودة".[4]

ويظهر لنا أنّ رواية "غادة أمّ القرى" جاءت راصدة لوعي المجتمع على الرّغم من محدودية أبعادها ومراميها.

ثمّ تبع هذا العمل الفني أعمال أخرى كرواية "الطّالب المنكوب سنة 1951م لعبد المجيد الشّافعي، والحريق 1957م لنور الدّين بوجدرة، وصوت الغرام سنة 1967م لمحمد منيع".[5]

---

[1] صالح مفقودة، المرأة في الرّواية الجزائرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، قسم الأدب العربيّ، 2009م، ص50.

[2] زهور كرام، الرّواية العربية وزمن التّكوّن، دار الأمان، الرّباط، 2012م، ص27.

[3] صالح مفقودة، المرأة في الرّواية الجزائرية، ص51.

[4] واسيني الأعرج، اتّجاهات الرّواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التّاريخية والجمالية للرّواية الجزائرية، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص18.

[5] شادية بن يحي، الرّواية الجزائرية ومتغيّرات الواقع، www.diwanalarab.com

ويبدو أنّه كان للظّروف السّائدة في الجزائر آنذاك أن تأخر الإبداع الرّوائي لما يقارب ستة عشر سنة، وهذا راجع "إلى أنّ هذا الفنّ صعب يحتاج إلى تأمّل طويل وإلى صبر وأناة ثمّ يتطلّب ظروفا ملائمة تساعد على تطوّره وعناية الأدباء به".[1]

ومن هنا يتّضح أنّ لهذا الفنّ مسالك شائكة يتطلّب كثيرا من الجهد والاهتمام حتّى يرقى لفنّ ناضج فنيا ملم لجميع حيثياته.

الرّواية العربية الجزائرية مرحلة الإرهاصات (السّبعينات):

عندما نقول فترة السّبعينات فنحن بصدد "الولادة الثّانية والأكثر عمقا للرّواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربية".[2]

والتي تعدّ الفترة الفعلية لظهور الرّواية العربية الجزائرية التي تقترب من النّضج الفني (كرواية ريح الجنوب للكاتب عبد الحميد بن هدوقة التي تكاد تجمع –قطعيا– آراء النّقاد والباحثين على أنّها البداية الفعلية لرواية جزائرية بلسان الأمّة: اللّغة العربية).[3]

الظّاهر أنّ رائد الرّواية الجزائرية المكتوبة بلغة القرآن والقريبة من النّضج الفني هو الرّوائي "عبد الحميد بن هدوقة" من خلال إبداعه "ريح الجنوب".

---

[1] عبد الله ركيبي، تطوّر النّثر الجزائري الحديث (1830م-1974م)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1978م، ص200.

[2] واسيني الأعرج، اتّجاهات الرّواية العربية في الجزائر، ص90.

[3] عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا.... وأنواعا، وقضايا... وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995م، ص196.

وهي ترتبط ب"فترة كان الحديث السّياسي جاريا بشكل جدّي عن الثّورة الزّراعية، فأنجزها في 1970م تزكية للخطاب السّياسي الذي كان يلوّح آمال واسعة للخروج بالرّيف من عزلته، ورفع الضّيم عن الفلاح، ودفع كلّ أشكال الاستغلال للإنسان".[1]

فالرّوائي "عبد الحميد بن هدوقة" تقمّص دور السّياسي المصلح لأوضاع الرّيف الجزائري في فترة السّبعينات وما يحدث فيه من مشاكل وهموم ومحاولة تغيير الأوضاع إلى الأحسن من خلال مشروع "الثّورة الزّراعية" دون إغفال رواية "مالا تذروه الرّياح""لمحمد عرعار"، و"اللاّز"و"الزّلزال""للطّاهر وطّار""[2]. وغيرها.

والجليّ في المسألة أنّه بعد الاستقلال مباشرة كانت أوضاع الجزائر مزرية في كلّ المجالات فأخذ الأدباء يصوّرون الواقع عن طريق الكتابة "للتّعبير عن تضاريس الواقع بكلّ تفاصيله وتعقيداته، سواء أكان ذلك بالعودة إلى مرحلة الثّورة المسلّحة أو الغوص في الحياة المعيشية الجديدة، التي بدأت تظهر ملامحها في التّغيّرات التي طرأت على الحياة السّياسية والاقتصادية والثّقافية".[3]

فالثّورة أصبحت هاجس المواطن والأديب خاصّة، فكلّ تناولها حسب فهمه ومعايشته للأحداث وكذلك حسب وجهة نظر كلّ مبدع.

والرّواية العربية الجزائرية في هذه الفترة تحلّت بسمات عديدة "شجاعة الطّرح والمغامرة الفنية، وهذا راجع إلى الحرية التي اكتسبها الكاتب بفعل الواقع السّياسي الجديد، الذي كان مناقضا للواقع

---

[1] عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص198.

[2] شادية بن يحي، الرّواية الجزائرية ومتغيّرات الواقع، www.diwanalarab.com

[3] إدريس بودية، الرّؤية والبنية في روايات الطّاهر وطّار، منشورات بونة للبحوث والدّراسات، عنّابة، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص42.

السّياسي الاستعماري قبل هذه الفترة، على اعتبار أنّ الكتابة فنّ لا يزدهر إلّا في ظلّ الحرية والانفتاح".[1]

وما إن انتزعت الجزائر قيودها وبدأت ظروفها تتحسّن بل وتزدهر حتّى انبثقت الرّواية العربية الجزائرية من تربة تخلّصت من شوائب الاستعمار الغاصب وسقيت من فكر صاف يتغذَّى وينعم بالاستقلالية.

الرّواية العربية الجزائرية (الثّمانينات):

بانتهاء فترة السّبعينات ودخول الثّمانينات شهد الإبداع الرّوائي العربي الجزائري حضورا قويا وهذا (نتيجة للتّحوّلات التي حدثت في مجتمع الاستقلال، حيث مثّل هذا الجيل اتّجاها تجديديا حديثا في هذا النّمط الأدبي، ومن التّجارب الرّوائية في هذه الفترة رواية واسيني الأعرج "وقع الأحذية الخشنة" 1981م، والحبيب السّايح في روايته "زمن النّمرود" سنة 1985م، مرزاق بقطاش وروايته "البزاق" سنة 1982م).[2]

يتّضح أنّ التّغيير لم يمس المجتمع فقط بل وصل إلى الإبداعات أيضا (لأنّ المبدع ابن بيئته)، حيث كان لكلّ كاتب تجربة ومنظور خاص فحاول الخروج عن المألوف والدّخول إلى دائرة الحداثة والتّجديد.

كما كان لعمالقة الرّواية العربية الجزائرية في مرحلة السّبعينات بصمة أخرى مع زمن آخر تمثّلت في (رواية "بان الصّبح" 1980م و"الجازية والدّراويش" 1983م و"زمن القلب" 1980م لمحمد العالي عرعار، ورواية "الحوّات والقصر" 1980م و"العشق والموت في الزّمن الحراشي" 1980م

[1] شادية بن يحي، الرّواية الجزائرية ومتغيّرات الواقع، www.diwanalarab.com

[2] المرجع نفسه.

للطّاهر وطّار، و"المرفوضون" 1981م لإبراهيم سعدي، و"المؤامرة" 1983م لمحمد مصايف، و"على جبال الظّهيرة" 1983م و"السّعير" 1986م لمحمد ساري، و"الانفجار" 1983م و"هموم الزّمن الفلّاقي" 1985م لمحمد مفلاح، دون أن ننسى الرّوائي "الهاشمي سعيداني• في روايته "المضطهدون" 1985م و"الحاجز" 1986م).[1] وغيرهم كثير.

كما كانت اهتمامات الرّواية العربية الجزائرية في هذه الفترة "بالموضوعات المتّصلة بهموم الجماعة، فالرّوائي الجزائري انشغل بوضع المجتمع أكثر منه بالهموم الشّخصية والذّاتية سواء أثناء عهد الحزب الواحد أو أثناء التّعدّدية".[2]

على الرّغم من محاولة الرّوائيين الابتعاد عن موضوع الثّورة إلّا أنّهم يذكرونها ويقومون بتمجيدها، لكن ليس بالوقع الذي كانت عليه في السّبعينات، إذ نجد كلّ روائي شقّ طريقه نحو مشكلات المجتمع محاولا الغوص فيها والطّاهر وطّار يدعو "إلى عدم التقوقع في الماضي رغم جماله وإشراقته لأنّه يصبّ في الثّورة الجزائرية، لأنّ هذا يجعلهم لا يعايشون المشكلات التي قد تطرأ في المجتمع، والقضايا التي تطرح نفسها أثناء فترة التّشييد والبناء".[3]

---

[1] سعيد سلّام، التّناص التّراثي، الرّواية الجزائرية أنموذجا ، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010م، ص462-468. (بتصرّف)

• الهاشمي سعيداني روائي جزائري، ولد 11 جويلية 1948م بجرمة (باتنة)، توفي 20 ديسمبر 2005م، له من الأعمال: المتسلّلة، النظارة المكسورة، الحاجز، والمضطهدون التي نحن بصدد دراستها.

[2] إبراهيم سعدي، دراسات ومقالات في الرّواية، منشورات السّهل، الجزائر، 2009م، ص62.

[3] منى بزعي، التّجربة الرّوائية عند أحلام مستغانمي في ميزان النّقد المعاصر ذاكرة الجسد أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللّغة والأدب العربي مسار نقد أدبي حديث ومناهجه، كلّية الآداب واللّغات، جامعة العربي بن مهيدي، قسم اللّغة والأدب العربي، 2014م/2015م، ص13.

إذا كان الأديب الجزائري ينحو إلى سرد وقائع الثّورة وما طاف بها فإنّ الطّاهر وطّار نزح إلى نزعة أخرى دعا فيها إلى عدم الانزواء صوب الحنين للثّورة وضرورة مواكبة العصر وما يحيط به من أحداث اجتماعية وثقافية وتطوّرات فكرية.

الرّواية العربية الجزائرية (التّسعينات):

في فترة التّسعينات انتقلت الجزائر من النّظام الأحادي إلى تعدّدية حزبية أدّت إلى عاصفة من الأزمات السّياسية والاقتصادية وصولا إلى "سقوط الجزائر في دوّامة من العنف الدّموي الرّهيب، بعد إلغاء المسار الانتخابي 1992م".[1]

شهدت الجزائر فترة تدهور في شتّى المجالات ممّا جعل الرّوائيين يفجّرون قدراتهم الإبداعية فوصلوا إلى زخم روائي "يبحث عن تميّز إبداعي مرتبط ارتباطا عضويا بتميّز المرحلة التّاريخية التي أنتجته وبالواقع الاجتماعي الذي شكّل الأرضية التي استطاع من خلالها الرّوائيين أن يستلهموا الأحداث والشّخصيات من أجل قراءة الحادثة التّاريخية قراءة مرهونة بالظّرف التّاريخي الصّعب الذي مرّوا به".[2]

ولما كان الأدب وليد بيئته، كان من الطّبيعي أن تعرف السّاحة الأدبية عطاء وفيرا من الإنتاج المختلف عمّا سبقه، فقد تغيّرت نظرة الرّوائيين وتبدّلت أفكارهم متأثرة بالظّروف الجديدة والملابسات المتطوّرة، وتمكّنوا من استيحاء الأحداث والشّخصيات وتوصّلوا إلى قراءة متأنّية عميقة للواقعة التّاريخية قراءة مقيّدة بعسر ذلك الواقع التّاريخي المعاش.

---

[1] إبراهيم سعدي، دراسات ومقالات في الرّواية، ص110.

[2] شادية بن يحي، الرّواية الجزائرية ومتغيّرات الواقع، www.diwanalarab.com

فالظّروف التّاريخية المتدهورة أدّت إلى ظهور أقلام كثيرة وإبداعات متميّزة مستلهمة من الواقع لأنّ "الرّواية، من بين كلّ الأنواع الأدبية الأخرى، هي الأكثر التصاقا بالواقع والأكثر قدرة على التّعبير عنه".[1]

فهي تعتبر وثيقة اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، سياسية، تاريخية ف"كان موضوع العنف أو "الإرهاب" مدار معظم الأعمال الرّوائية التّسعينية بحيث يمكن إعطاء هذه الأخيرة تعريف "رواية العنف"".[2]

فالإرهاب أصبح موضوعا لجلّ الإبداعات وهاجسا يلاحق الجزائريين عامّة والأدباء خاصّة، فالرّواية التّسعينية تصوّر "وضعية المثقّف الذي وجد نفسه سجين بين نار السّلطة وجحيم الإرهاب، وسواء كان أستاذا أم كاتبا أم صحفيا أم رسّاما أو موظّفا، فإنّهم يشتركون جميعا في المطاردة والتّخفي وهم يشعرون دوما أنّ الموت يلاحقهم".[3]

ومن هذا يتّضح لنا أنّ فترة التّسعينات أو ما تسمّى بالعشرية السّوداء كانت مرحلة استهدفت فيها الجماعات الإرهابية طبقات المثقّفين فزرعت فيهم الذّعر والخوف كما تخلّت السّلطة عنهم.

ومن أمثلة الإبداعات الرّوائية العربية الجزائرية في هذه الفترة (رواية "الشّمعة والدّهاليز" 1995م للرّوائي الطّاهر وطّار، ورواية "ضمير الغائب" 1990م، و"فاجعة اللّيلة السّابعة بعد الألف"

[1] إبراهيم سعدي، دراسات ومقالات في الرّواية، ص64.

[2] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] شادية بن يحي، الرّواية الجزائرية ومتغيّرات الواقع، www.diwanalarab.com

1993م للرّوائي واسيني الأعرج، ورواية "النّخر" 1990م لإبراهيم سعدي، ورواية "لونجة والغول" 1993م لزهور ونيسي، و"ذاكرة الجسد" 1993م لأحلام مستغانمي)[1] وغيرهم.

فهذه الإبداعات الرّوائية هي بمثابة "شهادة على واقع، وشهادة على حضور ذات المثقّف المعذبة فهي تجسّد في أحد أوجهها حضور المثقّف ومحنته في رواية الأزمة إنّها ثقافة الوطن المجروح".[2]

فالرّواية في هذه الحالة تعتبر بطاقة هوية لوطن مسلوب الحرية، كما أنّ موضوعها دائما يتمحور حول الشّخصية المثقّفة وواقعها المعيش في ظلّ العشرية السّوداء، فهي "شأنها شأن رواية المرحلة السّابقة لها، تتميّز بتمركزها حول هموم الجماعة، ومن ثمّ بالواقع العام للمجتمع".[3]

إنّ المبدع يحمل دائما مآسي قومه ويعبّر عنها، وهذا ما نلاحظه في تطوّر المواضيع المتطرّق إليها بتطوّر الواقع السّياسي والاجتماعي والاقتصادي في البلد نفسه.

---

[1] سعيد سلّام، التّناص التّراثي، الرّواية الجزائرية أنموذجا، ص463-471. بتصرّف

[2] شادية بن يحي، الرّواية الجزائرية ومتغيّرات الواقع، www.diwanalarab.com

[3] إبراهيم سعدي، دراسات ومقالات في الرّواية، ص64.

الفصل الأوّل:

المظلوم قراءة في المفهوم والمصطلح والأنواع

المبحث الأوّل:

مفهوم المظلوم

الظّلم ظاهرة تفشّت في كثير من البقاع الإنسانية، وجريمة حذّرنا الله سبحانه وتعالى من الوقوع فيها لما يترتّب عنها من عدم استقرار وانهيار وزوال المجتمعات، فقال جلّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٤﴾.[1]

إنّ الله سبحانه وتعالى نزّه نفسه عن الظّلم وكرّم عباده بالنّعم لكنّهم شقّوا طريق الطّغيان وَجَلَبُوا المضرَّة لأنفسهم وبالتّالي حرّمه الله عزّ وجلّ على نفسه وعلى النّاس كافّة لقوله صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه عن الله تبارك وتعالى: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَاْ تَظَالَمُوا".[2]

ومن هنا يتّضح أنّ الله سبحانه وتعالى يحمي عباده ويصونهم بتحريمه للظّلم.

أمّا راغب الأصفهاني فيرى بأنّ: "الظّلم عند أهل اللّغة وكثير من العلماء وَضْعُ الشّيء في غير موضعه المختص به إمّا بنقصان أو بزيادة، وإمّا بعدول عن وقته أو مكانه".[3]

يظهر لنا أنّ الظّلم يتجسّد في الانحراف عن الحق وعدم الانصاف.

كما يقول: "ظَلَمْتُ الأرض حفرتها ولم تكن موضعا للحفر وتلك الأرض يُقال المظْلُومَةُ والتّراب الذي يخرج منها ظليم".[4]

---

[1] سورة يونس، الآية 44.

[2] مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، الجزء الثّالث، كتاب البر والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم، رقم الحديث 2577، ص1093.

[3] أبي القاسم الحسن بن محمد المعروف ب "الرّاغب الأصفهاني"، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: مركز الدّراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، الجزء الثّاني، ص411.

[4] أبي القاسم الحسن بن محمد المعروف ب "الرّاغب الأصفهاني"، المفردات في غريب القرآن، الصّفحة نفسها.

لا يكون الظّلم على الإنسان فقط، بل على الأرض أيضا إذا حُفرت في أماكن غير مناسبة فهذا يعتبر ظلما بحقها وتشويها لمنظرها.

وأيضا يحمل الظّلم معنى "مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدّائرة، ويُقال فيما يَكْثُرُ وفيما يقل من التّجاوز ولهذا يستعمل في الذّنب الكبير وفي الذّنب الصّغير".[1]

بغضّ النّظر عن حجم الذّنب المرتكب في حقّ الآخر فهذا يعتبر تعدٍّ عليه من طرف ظالم جائر.

جاء في معجم "مقاييس اللّغة" لابن فارس معنى الظّلم على النّحو التّالي: "ظلم: الظّاء واللّام والميم أصلان صحيحان: أحدهما خلاف الضّياء والنّور، والآخر وضع الشّيء غير موضعه تعديا".[2]

وما نخلص إليه من هذا القول هو أنّ للظّلم معنيان: الأوّل وهو الظّلام وعدم الإشراق ممَّا يحيلنا إلى عدم وضوح الرّؤية، أمّا الثّاني فهو أن تجعل الأشياء في غير أماكنها وتجاوز الحدود عن قصد وليس سهوًا.

كما "يُقال: ظَلَّمت فلانا: نسبته إلى الظُّلم، وَظَلَمت فلانا فاظَّلم وانظلَمَ، إذا احتمل الظُّلم، وأنشد بيت زهير:

هُوَ الجَوَادُ الذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ*عَفْوًا وَيُظْلَمُ أَحْيَانًا فَيَظَّلِمُ*".[3]

---

[1] أبي القاسم الحسن بن محمد المعروف ب "الرّاغب الأصفهاني"، المفردات في غريب القرآن،ص411.

[2] أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللّغة، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، 2001م، ص617.

[3] أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللّغة، ص618.

*نائله: النّائل: العطاء.

*فيظّلم: يقبل الظّلم ويحتمله.

والمقصود هنا أنّ الجواد هو الذي يقدّم لك العطاء بسهولة من غير إبطاء ويتحمّل متاعب النّاس، فيقبل الظّلم ويتحمّله.

كما وردت لفظة "الظّلم" في معجم الوسيط كالآتي: "ظَلَمَ، ظُلْمًا، وَمَظْلَمَةً: جار وجاوز الحدّ، ووضع الشّيء في غير موضعه وفي المثل: "من أشبه أباه فما ظَلَمْ": ما وضع الشّبه في غير موضعه. وفي المثل أيضا: "من استرعى الذّئب فقد ظَلَم": يضرب لمن يولّي غير الأمين".[1]

فالظّلم هو الإفراط في التّجبر، ووجوده قديم قدم الإنسان حتّى أبدعت العرب في تجسيده ضمن تراثها.

وقال في موضع آخر: "تَظَالَمَ القوم: ظلم بعضهم بعضا. والمِعْزَى: تَنَاطَحَتْ مِنْ سِمَنِهَا. ويقال: نزلنا بأرضٍ تتظالم مِعزاها: تتناطح من الشَّبع والنّشاط".[2]

يبدو أنّ مصطلح الظّلم توسّع نطاقه ليصل إلى الحيوان الدّؤوب وَالمكْتَفِي من خيرات الأرض.

وعرّف "ابن منظور" في معجمه "لسان العرب" لفظة "ظلم" بقوله: "أصل الظُّلم الجور ومجاوزة الحدّ، ومنه حديث الوضوء، فمن زاد أو نقص فقد أساء وظَلَمَ، أي أساء الأدب بتركه السنّة والتّأدب بأدب الشَّرْعِ، وَظَلَمَ نفسه بما نقصها من الثّواب بترداد المرّات في الوضوء".[3]

ويظهر أنّ مصطلح الظّلم ينسحب على الخلل في الوضوء ليجعل النّفس مظلومة، وذلك بعدم كسبها للجزاء.

---

[1] إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا، الجزء الثاني، ص577.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997م، باب الظاء، مادة (ظلم)، ص2756.

وجاء "الظّلم" يحمل معنى "الميل عن القصد، والعرب تقول: اِلزم هذا الصَّوْبَ ولا تَظْلِمْ عنه، أي لا تَجُرْ عنه".[1]

فالانحراف والخروج عن الوجهة التي نسلكها يسمّى ظُلْمًا.

وقد عرّفه "الفيروز أبادي" بقوله: "الظُّلْمُ، بالضم: وضع الشّيء في غير موضعه، والمصدر الحقيقي: الظَّلْمُ، بالفتح، ظَلَمَ يَظْلِمُ ظَلْمًا، بالفتح، فهو ظَالِمٌ وَظَلُومٌ، وَظَلَمَهُ حَقَّهُ، وَتَظَلَّمَهُ إِيَّاهُ. وَتَظَلَّمَ: أَحَالَ الظُّلْمَ على نفسه. ومنه شَكَا مِنْ ظُلْمِهِ".[2]

والجليّ هاهنا أنّ الظّلم تعجرف القوي على الضّعيف والسَّطو على ممتلكاته.

وجاءت لفظة "الظُّلْمِ" تحمل معنى تمثّل في "ظَلَمَ الأرض: حفرها في غير موضع حفرها، والبعير: نَحَرَهُ من غير داءٍ، والوادي: بَلَغَ الماءُ موضعًا لم يَكُنْ بَلَغَهُ قَبْلَهُ".[3]

فلفظة "ظلم" حملت عدّة معاني شملت الطّبيعة وعناصرها.

كما نجد لفظة "ظلم" في "معجم الصّحاح" تدلّ على "ظَلَم: ظَلَمَهُ يَظْلِمُهُ ظُلْمًا وَمَظْلَمَةً، وأصله وضع الشّيء في غير موضعه".[4]

فالتّعريف ينصّ على أنّ الظّلم مخالفة الله جلّ شأنه فيما أمرنا به كما يكون بسلب مِلْك الغير دون حق.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب ، مادة (ظلم)، ص2757.

[2] مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2009م، ص827.

[3] مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط ، الصّفحة نفسها.

[4] إسماعيل بن حمّاد الجوهري: معجم الصّحاح، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2008م، ص659.

كما وردت في سياق آخر تمثّل في: "المظْلِمَةُ: ما تطلبه عند الظّالم، وهو اسم ما أُخِذَ منك. وَتَظَلَّمَنِي فلان، أي ظَلَمَنِي مالي. وَتَظَلَّمَ مِنْهُ، أي اشتكى ظُلْمَهُ، وَتَظَالَمَ القوم. وَظَلَّمْتُ فُلَانًا تَظْلِيمًا، إذا نسبته إلى الظُّلْمِ، فانظلَمَ، أي احتمل الظُّلْمَ".[1]

وهذا كلّه يعيّن كلمة الظّلم ومشتقاتها التي تتماشى والمستَبِدّ المبْتَزِّ للآخر.

[1] إسماعيل بن حمّاد الجوهري: معجم الصّحاح، ص659.

المبحث الثّاني:

مصطلح المظلوم

جاءت لفظة "الظّلم" في كتاب "التّعريفات" تحمل معنى "وضع الشّيء في غير موضعه، وفي الشّريعة: عبارة عن التّعدّي عن الحقّ إلى الباطل وهو الجور، وقيل: هو التّصرّف في ملك الغير ومجاوزة الحدّ".[1]

وما نخلص به هو أنّ الظّلم جعل الأشياء في أماكن غير مناسبة لها ومجاوزتها للحدود، كما أنّ "الجور" من مرادفات الظّلم.

ونجد "ابن رجب" رحمه الله يقول: "الظّلم المطلق أخذ ما ليس له أخذه، ولا شيء منه من مال أو دم أو عرض".[2]

نستنتج من هذا القول أنّ الظّلم الغير مقيّد هو التّعدّي على حقوق النّاس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

كما أنّ "كلمة ظلم التي هي ضدّ العدل، تزيد من وضوح العدالة".[3]

[1] علي بن محمد بن علي الجرجاني: التّعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتّراث، 1403هـ، ص186.

[2] الحافظ عبد الرّحمن بن أحمد بن رجب البغدادي: شرح حديث لبيك اللّهم لبيك، تحقيق: الوليد بن عبد الرّحمن بن محمد آل فريان، دار عالم الفوائد، 1417هـ، ص103.

[3] جيرار جهامي: موسوعة مصطلحات الفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر، الجزء الثّالث (1940م-2000م)، مكتبة لبنان ناشرون، 2002م، ص1163.

في بعض الأحيان نعرف معنى الكلمات بضدّها، ونجد لفظة "الظّلم" في "دستور العلماء" توحي ب "ارتكاب معصية مُسْقِطة للعدالة مع عدم التّوبة والإصلاح، وتلك المعصية هي التي إذا ارتكبها شخص لا تُقبل شهادته، ومن ارتكب المعاصي التي ليست مُسقطة للعدالة ليس بظالم لكنّه غير معصوم".[1]

وهنا يمكن القول بأنّ الظّلم هو ذلك الذّنب أو المخالفة التي لا يتبعها اعتراف وندم مع عدم تغيير وتحسين الوضع، ولا يُؤخذ بأقوال المرتكب لهذه المعصية ولا يُعتبر ظالما ولكنّه غير منَزّهٍ عن الخطأ والفاحشة.

ويبدو أنّ "الوازع عن الظّلم في الحضر إنّما هو السّلطان القاهر بالدّولة الغالبة وفي البدو، أمّا في أحيائه فالمشايخ والكبراء، لما وقر لهم في النّفوس من الوقار والتّجلّة".[2]

نرى من خلال هذا الطّرح أنّ المانع للظّلم في المدن هو الحاكم بالقوّة والسّيادة، وفي البدو هو الشّيخ المالك للحكمة والخبرة.

الكلمة في اللّغة العربية لها مزايا تكمن في مرادفها الذي يشمل المعنى ككل، لكن بين مرادف وآخر نجد فوارق تميّز أحدا على آخر ومن مرادفات الظّلم.

---

[1] القاضي عبد النّبي بن عبد الرّسول الأحمد نكري: موسوعة مصطلحات جامع العلوم (الملقب بدستور العلماء)، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النصّ الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، التّرجمة الأجنبية: محمد العجم، مكتبة لبنان ناشرون، 1997م، ص566.

[2] رفيق العجم: موسوعة المصطلحات علم التّاريخ العربي والإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، 2000م، ص421.

01. الجور:

وهو (خلاف الاستقامة في الحكم، وفي السّيرة السّلطانية تقول: جار الحاكم في حكمه، والسّلطان في سيرته، إذا فارق الاستقامة في ذلك، والظّلم ضرر لا يستحقّ، ولا يَعقب عوضا سواء كان من سلطان أو حاكم أو غيرهما، وأصل الظّلم. نقصان الحق، والجور: العدول عن الحق).[1]

إذن الجور هو الخروج عن الوفاء بالعهود والتّوسّط في كلّ الأمور وهي تُقال للحاكم والسّلطان الظّالم.

02.الهضم:

يتجلّى في "نقصان بعض الحق، ولا يقال لمن أخذ جميع حقه الظّلم يكون في البعض والكلّ وفي القرآن: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾.[2] أي لا يمنع حقّه، ولا بعض حقّه، وأصل الهضم في العربية النّقصان، ومنه قيل للمنخفض من الأرض: هضم، والجمع أهضام".[3]

والظّاهر هنا أنّ الهضم هو أخذ جزء من الحق أمّا الظّلم فهو يشمل الكلّ والجزء.

---

[1] أبي هلال العسكري: الفروق اللّغوية، التّحقيق والتّعليق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثّقافة، القاهرة، 1997م، ص231.

[2] سورة طه، الآية 112.

[3] أبي هلال العسكري: الفروق اللّغوية، ص232.

03.الغشم:

هو الصّفة التي يتّصف بها "الولاة لأنّ ظلمهم يعم، ولا يكاد يقال: غشمني في المعاملة كما يقال: ظلمني فيها، وفي المثل: "وَالٍ غَشُوم خَيْرٌ مِنْ فِتْنَةٍ تَدُوم"".[1]

الواضح من هذا القول أنّ هذه الصّفة تصاحب الحاكم الظّالم، لأنّ الحاكم عليه أن يكون مسؤولا عن رعيّته في أموالهم وأعراضهم ويحكم بالعدل والحقّ لا بخلاف ذلك.

04.البغي:

كما يقول "أبو هلال العسكري": "أصله في العربية شدّة الطّلب، ومنه يقال: دفعنا بَغْيَ السّماء خلفنا، أي: شدّة مطرها، وبَغي الجُرح يَبغي إذا ترامى إلى فساد يرجع إلى ذلك، وكذلك البغاء وهو الزّنا، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾.[2]، إنّه يريد: التّرأس على النّاس بالغلبة والاستطالة".[3]

وهنا يذهب "أبو هلال العسكري" إلى القول بأنّ البغي بعمومه يدلّ على تجاوز الحدّ والتّعدّي على حقوق الغير.

كما نجد أنّ لفظة "الظّلم" لها عدّة مواضع:

[1]أبي هلال العسكري: الفروق اللّغوية، ص232.

[2]سورة الأعراف، الآية 33.

[3]أبي هلال العسكري، الفروق اللّغوية،ص232.

01.في القرآن الكريم:

لقد ذكر الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم مصطلح الظّلم في مواضع متعدّدة حيث جعلها أهل التّفسير على ثلاثة أوجه:

"أحدهما: الشّرك، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ الآية 257".[1]

وهنا يظهر لنا أنّ الظّلم هو أن تجعل شريكا لله جلّ وعلا في العبادة والملك، ويعتبر هذا من الكبائر، لأنّ الله سبحانه وتعالى يرحم عباده المؤمنين بإخراجهم من الضّلالة إلى الهدى.

ويقول "ابن الجوزي" في الموضع "الثّاني: الأهوال، ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الآية 63".[2]

الظّلم شمل البرّ والبحر ممّا شكّل الخوف والفزع لدى الإنسان ولكن المنجي من هذا كلّه هو الله جلّ شأنه.

أمّا الموضع الثّالث والأخير فقد تضمّن "الظّلمات المعروفة التي هي ضدّ الأنوار. ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الآية 01،

[1] جمال الدّين أبي الفرج عبد الرّحمن بن الجوزي: نزهة الأعين النّواظر في علم الوجوه والنّظائر، دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الرّاضي، مؤسسة الرّيالة، 1987م، ص423.

[2] المصدر نفسه، ص424.

وفي سورة الأنبياء: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ الآية 87، يعني ظلمة اللّيل وظلمة الماء، وظلمة بطن الحوت".[1]

الظّلمات تجلّى معناها من خلال هذا الطّرح في عدم الإضاءة الذي يسبب عدم الرّؤية والوضوح.

كما أنّ الظّلم يتجسّد في الحياة الإنسانية على نمطين هما: "ظلم القول: وهو ظلم اللّسان، كأن يتمّ الإساءة للنّفس، أو الآخر بالسّباب والشّتم أو الغيبة أو النّميمة أو السّخرية أو القذف أو شهادة الزّور... إلخ، ظلم الفعل: وهو إلحاق الضّرر بالنّفس أو بالآخر من خلال الاعتداء بالقتل أو الضّرب أو السّرقة أو الرّبا أو الزّنى أو التّجسس أو أكل المال بالباطل أو خيانة الأمانة... إلخ".[2]

رغم اختلاف الظّلم بين قولي وفعلي لكن الهدف واحد وهو إيذاء النّفس والغير.

02.في السنّة النّبوية:

لقد تعدّدت المواضع التي ذكر فيها الظّلم في الأحاديث النّبوية الشّريفة لكن سنذكر بعضا منها:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا".[3]

---

[1] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[2] عثمان محمد غنيم: الظّلم وانعكاساته على الإنسانية رؤية شرعية، كتاب الأمّة، قطر، 1435هـ، العدد 164، ص50.

[3] شهاب الدّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، الرّسالة العالمية، 2013م، الجزء الثّامن، كتاب المظالم، باب قصاص المظالم، رقم الحديث 2440، ص07.

نستخلص من قوله صلّى الله عليه وسلّم أنّ الله سبحانه وتعالى قد يصفح خطايا عباده، إلّا مظالم الدّنيا فتناقش بينهم، ومن يُنقَّى من هذه الذّنوب يفوز بالجنّة ومن لم يصفحوا عنه فداره جهنّم.

وفي نفس السّياق يقول حبيبنا المصطفى عليه الصّلاة والسّلام: "المسْلِمُ أَخُو المسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ".[1]

هنا يذهب رسولنا صلّى الله عليه وسلّم إلى أنّ المسلم لا يظلم أخاه المسلم ويكون في عونه متى احتاجه ولا يتركه في أيدي من يؤذيه.

وفي هذه المسألة "أَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: فَذَكَرَ عِيَادَةَ المرِيضِ، وَاتِّبَاعَ الجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتَ العَاطِسِ، وَرَدَّ السَّلَامِ، وَنصْرَ المظْلُومِ، وَإِجَابَةَ الدَّاعِي، وَإِبْرَارَ القَسَمِ".[2]

هنا يُفْتَحُ لنا المجال في أنَّ هناك أمور سلبية علينا الابتعاد عنها وأمور إيجابية علينا التّحلّي بها، من بينها نصر المظلوم ضدّ ظالمه.

نجد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم يبعث "معاذا" إلى اليمن ويقول: "اِتَّقِ دَعْوَةَ المظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ".[3]

الذي يفهم من هذا الحديث هي أنّها توصية بالحذر من الظّلم للعباد لأنّ دعوة المظلوم قريبة ومستجابة من الله سبحانه وتعالى.

---

[1] شهاب الدّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه، رقم الحديث 2440، ص09.

[2] المصدر نفسه، باب نصر المظلوم، رقم الحديث 2445، ص12.

[3] المصدر نفسه، باب الاتّقاء والحذر من دعوة المظلوم، رقم الحديث 2448، ص15.

وورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ".[1]

يتّضح لنا من خلال هذا القول أنّ الحسنات التي يجمعها الظّالم في دنياه تكون مِلْكًا للمظلوم، لأنّه تعدّى على حقوقه ولم يصفح هذا الأخير عنه، فإذا نفذت حسناته، انتقلت سيّئات المظلوم إلى رصيد الظّالم.

03.في الشّعر العربي:

كما كان للشّعر العربي دور في إحاطتنا بمصطلح الظّلم ومعناه، حيث عند بعض الشّعراء، يقول "علي بن أبي طالب•" كرّم الله وجهه:

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَاكُنْتَ مَقْتَدِرَا فَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ يُفْضِي إِلَى النَّدَمِ

تَنَامُ عَيْنُكَ وَالمظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمِ[2]

وبهذا يحذّرنا كرّم الله وجهه من الظّلم الذي يؤدّي بنا إلى الحسرة والنّدم، كما أنّ دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب فهي مستجابة.

---

[1] شهاب الدّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، باب من كانت له مظلمة عند الرّجل فحلّلها له هل يبيّن مظلمته؟، رقم الحديث 2449، ص16.

[2] علي بن أبي طالب: الدّيوان، جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، 1988م، ص184.

• علي بن أبي طالب بن عبد المطّلب الهاشمي القرشي ولد في 599م، ابن عمّ محمد بن عبد الله نبي الإسلام وصهره، ومن آل بيته، وأحد أصحابه، وهو رابع الخلفاء الرّاشدين، توفي 661م.

و"الإمام الشّافعي•" لا يذهب بعيدا عن "الإمام علي بن أبي طالب" في ذكر مساوئ الظّلم وعدم استحسانه ويتّضح هذا من خلال أبياته التّالية:

إِذَا مَا ظَالِمٌ اِسْتَحْسَنَ الظُّلْمَ مَذْهَبًا وَلَجَّ عُتُوًّا فِي قَبِيحِ اِكْتِسَابِهِ

فَكِلْهُ إِلَى صَرْفِ اللَّيَالِي فَإِنَّهَا سَتَدْعِي لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ

فَكَمْ رَأَيْنَا ظَالِمًا مُتَمَرِّدًا يَرَى النَّجْمَ تِيهًا تَحْتَ ظِلِّ رِكَابِهِ[1]

فالظّالم الذي جعل من الظّلم والقهر طريقا ومنهجا في حياته يسلكه فإنّ اللّيالي سَتُؤَدِّبُهُ وتُلفت نظره إلى المصائب التي سيسلّطها الله –سبحانه وتعالى– عليه، حيث كان يرى النّجم وسُمُوَّهُ أقلّ منه درجة لجبروته وتكبّره، لكن دعوة المظلوم عليه كانت أكبر منه بكثير حيث كان جزاء الظّالمين بخسارتهم لدنياهم وآخرتهم.

وفي رأي "زهير بن أبي سلمى•" حول لفظ الظّلم يقول:

جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمْ يُعَاقِبْ بِظُلْمِهِ سَرِيعًا وَإِلَّا يُبْدَ بِالظُّلْمِ يَظْلِمِ[2]

فالشّاعر من خلال هذا البيت يوجّه رسالة إلى المظلوم بأن يكون شجاعًا في ردّه على الظّالم.

وفي موضع آخر ضمن معلّقته الشّهيرة يقول:

---

[1] محمد بن إدريس الشّافعي، الدّيوان: الجوهر النّفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1988م، ص21.

• أبو عبد الله محمد بن إدريس الشّافعي المطلبي القرشي (767م–820م)، صاحب المذهب الشّافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسّس علم أصول الفقه، وإمام في علم التّفسير وعلم الحديث.

[2] زهير بن أبي سلمى: الدّيوان، شرحه وقدم له الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، لبنان، 1988م، ص109.

• زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رباح المزني، من مضر (520م–609م)، أحد شعراء العرب وحكيم الشّعراء في الجاهلية.

وَمَنْ لَمْ يَذُذْ* عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهَدَّمْ وَمَنْ لَا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ[1]

والجليّ هنا أنّ الإنسان عليه الدّفاع وحماية سمعته، ومن لم يستطع الحفاظ على عرضه وماله وأولاده وعدم ردّه لعدوان الغير فمن المؤكّد سيكون في زمرة المظلومين.

تجلّى الظّلم في "ديوان أبي العتاهية" من خلال الأبيات التّالية:

أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ لُومٌ وَلَكِنَّ المسِيءَ هُوَ الظَّلُومُ

إِلَى دِيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ[2]

فالظّلم هو التّعدّي على حقوق النّاس، بإحداث الشرّ، والظّالم في بعض الأحيان يأخذ موقف المظلوم، لكن الحاكم بالعدل هو الله سبحانه وتعالى.

ويضيفُ "المتنبي" قائلا:

مَلَامِي النَّوَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةُ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ السُّقْمِ[3]

ومنه يتبيّن له أنّ العتاب للبعد ظُلْمٌ لفراقه عن أحبّته وشوقه لهم فربّما هؤلاء الأحبّة يبادلونه نفس الشّعور.

---

[1] زهير بن أبي سلمى: الدّيوان، ص111.

*الحماية والدّفاع.

[2] أبي العتاهية: الدّيوان، دار بيروت، 1986م، ص398.

[3] المتنبي: الدّيوان، دار بيروت، 1983م، ص80.

المبحث الثّالث:

أنواع المظلوم

ينكشف الظّلم على وجهين اثنين: ظلم الإنسان في حقّ نفسه، وظلم الإنسان لغيره، وهذه الأنواع تنضوي تحتها عدّة صور لا يمكن عدّها ولا حصرها "لأنّ الظّلم حرام قليله وكثيره، وتختلف آثامه على قدر اختلافه، لأنّ للظّلم وجوهًا كثيرة، فأعظمها الشّرك".[1]

وبالتّالي: حكم الظّلم حرام بغضّ النّظر عن حجم الأذيّة التي يسبّبها.

01.ظلم الإنسان في حقّ نفسه:

قبل التّطرّق إلى هذا الموضوع نقف وقفة مع ماهية النّفس وأنواعها من خلال القرآن الكريم، فهي عند العلماء المعاصرين "جوهر الإنسان ومحرّك أوجه نشاطه المختلفة، إدراكية، أو حركية، أو فكرية، أو انفعالية أو أخلاقية، سواء أكان ذلك على مستوى الواقع، أو على مستوى الفهم، والنّفس هي الجزء المقابل للبدن في تفاعلها وتبادلها التّأثير المستمرّ والتّأثّر، مكونين معا وحدة متميّزة نطلق عليها لفظ (شخصية) تميّز الفرد عن غيره من النّاس، وتؤدّي به إلى توافقه الخاصّ في حياته".[2]

النّفس هي المكمّل للبدن لتكوين شخصية مستقلّة ومتفرّدة كما أنّها شيء مقدّس في الإنسان وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

النّفس المطمئنّة، النّفس اللّوامة، النّفس الأمّارة بالسّوء.

فالله سبحانه وتعالى ينادي النّفس المطمئنّة بقوله: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾.[3]

---

[1] يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي أبو عمر: التّمهيد لما في المطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، الأوقاف والشّؤون الإسلامية، المغرب، 1987م، الجزء الثّامن، ص285.

[2] صلاح بن سمير محمد مفتاح، حقيقة النّفس في القرآن الكريم ومعانيها، www.alukah.net

[3] سورة الفجر، الآية 27-28.

وبذلك فهي النّفس المرتاحة، المنفذة لأوامر الله سبحانه وتعالى والمجتنبة لنواهيه.

أمّا النّفس اللّوامة فيقول عزّ وجلّ: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾.[1]

وهي النّفس النّادمة لارتكابها المعاصي.

وقال الله جلّ وعلا في النّفس الأمارة بالسّوء: ﴿۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٣﴾.[2]

فالنّفس الأمّارة بالسّوء هي نفس مريضة لا تخاف من الله ورقابته فتأمر الإنسان بفعل كلّ ما يعارض الله، المتّجهة نحو المحرّمات الجامعة للسيئات.

وظلم الإنسان في حقّ نفسه هو ظلم موجّه للنّفس البشرية من طرف صاحبها ويكون ذلك بتلطيخها بالذّنوب والخطايا، فقال تعالى: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٥٧﴾.[3]

ويتمثّل ظلم النّفس فيما يلي:

[1] سورة القيامة، الآية 02.

[2] سورة يوسف، الآية 53.

[3] سورة البقرة، الآية 57.

أ. الشّرك[1] :

يعتبر من الكبائر، وهو أن تجعل لله شريكا وندًّا في ربوبيته وأسماءه وصفاته سبحانه وتعالى وتبديلها بعبادة الأوثان فقال عزّ وجلّ في كتابه الجليل: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.[2]

فالمشرك بالله ظالم لنفسه ولله جلّ وعلا، وبالتّالي يفسد عمله ويذهب سُدًى ويصبح من الخاسرين لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾.[3]

كما أنّ الله عزّ وجلّ أخبر عباده بأنّ الشّرك ظلم في حقّه لا يغفره لقوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾.[4]

ومنه فإنّ الله رحيم بعباده يغفر ذنوبهم إلّا الشّرك فقد قال في الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى

---

[1] محمد رفيق فرخ أحمد عبد القادر، الظّلم بين الإسلام والهندوسية والبوذية دراسة مقارنة، مجلّة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، قيم الدّراسات الإسلامية، المملكة العربية السّعودية، العدد 09، 1437هـ، ص609.

[2] سورة البقرة، الآية 22.

[3] سورة الزّمر، الآية 65.

[4] سورة النّساء، الآية 48.

وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾.[1]

وبالتّالي فإنّ الجنّة محرّمة على المشركين ودارهم الأبدية جهنّم خالدين فيها.

ب.التّعدّي على حدود الله[2] :

من منظور بعض النّاس أنّ الدّين الإسلامي محصور في الصّلاة والصّوم والزّكاة والحجّ، فقط، فهم لا يعلمون أنّ هناك أوامر أمرنا الله سبحانه وتعالى باتّباعها، ونواهي نهانا عزّ وجلّ الاقتراب منها، فالنّواهي والأوامر ما هي إلّا حدود رسمها الله سبحانه وتعالى لعباده لكي لا يضلّوا ويقعوا في المعاصي لأنّ هذا ظلم لله جلّ شأنه وظلم لأنفسهم مبيّنا ذلك في قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾.[3]

[1] سورة المائدة، الآية 72.

[2] محمد رفيق فرخ أحمد عبد القادر، الظّلم بين الإسلام والهندوسية والبوذية دراسة مقارنة، ص609.

[3] سورة البقرة، الآية 229.

ج.الصدّ عن مساجد الله أن يُذْكر فيها اسمه[1] :

المساجد هي بيوت الله، وأطهر بقاع الدّنيا ومقرّ اجتماع المسلمين بربّهم لعبادته، وَالمعْرِضُ عن ذكر اسم الله في المساجد له ظلم عظيم لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾.[2]

وبذلك يكون وعد الله للواقف في وجه ذَاكِرِي اسمه في المساجد بالعذاب العظيم.

د.كتم الشّهادة[3] :

هي ظلم كبير وأمر عظيم في حقّ الله وفي حقّ النّفس لقوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾.[4]

وبما أنّ الكتمان هو السّكوت عن الحقّ وإخفاءه فلا يجوز للمسلم فعل ذلك بأخيه لأنّه يسبّب له الضّرر وبذلك أمر الله عزّ وجلّ عباده بالابتعاد عن كتم الشّهادة لقوله: ﴿۞وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ

[1] محمد رفيق فرخ أحمد عبد القادر، الظّلم بين الإسلام والهندوسية والبوذية دراسة مقارنة، ص609.

[2] سورة البقرة، الآية 114.

[3] محمد رفيق فرخ أحمد عبد القادر، الظّلم بين الإسلام والهندوسية والبوذية دراسة مقارنة، ص609.

[4] سورة البقرة، الآية 140.

أَمَنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨٣﴾ ﴾.[1]

وبالتّالي كتم الشّهادة من الكبائر، والإنسان الذي يجعلها نهجه ظالم وآثم.

هـ.الإعراض عن آيات الله بتعطيل أحكامها[2] :

هذا يُسمّى بالظّلم الأكبر فقال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذٗا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ ﴾.[3]

فالمعرض عن آيات الله هو ظالم في حق الله جلّ وعلا، فينسى أعماله السّيئة وذنوبه الكثيرة، وبالتّالي يجعل الله له غطاءً على قلبه ويُصيبه صُمٌّ في الأذن وبذلك لا يعود إلى الطّريق المستقيم.

و.الافتراء والكذب على الله[4] :

هو كبيرة من الكبائر، وظلم كبير، فقال عزّ وجلّ: ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾.[5]

[1] سورة البقرة، الآية 283.

[2] محمد رفيق فرخ أحمد عبد القادر، الظّلم بين الإسلام والهندوسية والبوذية دراسة مقارنة، ص610.

[3] سورة الكهف، الآية 57.

[4] محمد رفيق فرخ أحمد عبد القادر، الظّلم بين الإسلام والهندوسية والبوذية دراسة مقارنة، ص610.

[5] سورة آل عمران، الآية 94.

وبالتّالي الكذّاب والمفتري على الله ظالم عظيم، وهذه الصّفة من صفات الكفّار لقوله جلّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.[1]

وكلّ هذا يؤدّي إلى الذلّ والحقارة كما ورد في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾.[2]

والمفتري تلحقه لعنة من الله وغضب وعذاب في الدّنيا والآخرة فيقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾.[3]

كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾.[4]

كما أنَّ هناك أمورًا أخرى تُساهم في ظلم الإنسان لنفسه والتي تتجسّد في عدم تحلّيه بأركان الإسلام الخمسة لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ".[5]

---

[1] سورة النّحل، الآية 105.

[2] سورة الأعراف، الآية 152.

[3] سورة هود، الآية 18.

[4] سورة العنكبوت، الآية 13.

[5] شهاب الدّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الأوّل، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم، رقم الحديث 08، ص106.

فالرّكن الأوّل هو شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدًا رسول الله، هذه الشّهادة هي أساس قيام الإسلام والمفتاح للولوج في رحابه لقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾.[1]

فالله سبحانه وتعالى خالق الكون والمتصرّف فيه، ومحمّد رسولنا وحبيبنا، خاتم الأنبياء والرّسل، حامل القرآن ومبلّغ الرّسالة للكون.

والركن الثّاني هو الصّلاة فهي عماد الدّين، وهي مفروضة على كلّ مسلم ومسلمة بَالِغين وعاقلين لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾.[2]

فالصّلاة حبل واصل بين العبد وربّه والمقرّب له، تقوم على خمس فرائض في اليوم بطهارة وخشوع فقال جلّ وعلا في كتابه الكريم: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾.[3]

[1] سورة الأنعام، الآيتان 101-102.

[2] سورة النّساء، الآية 103.

[3] سورة البقرة، الآية 238.

وبهذا الصّلاة في خشوع تُبعد بين العبد والمنكرات والفواحش، قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾.[1]

وتارك الصّلاة ظالم لنفسه، لكن بإمكانه العودة إلى الطّريق المستقيم بالتّشبّث بحبل الله.

والزّكاة هي ثالث ركن من أركان الإسلام، وتقوم على أساسين وهما: بلوغ النّصاب ودوران الحول، تُعطى لمن تجوز فيهم من فقراء ومساكين وغيرهم ممّن ضاقت بهم الدّنيا ماديا لقوله تعالى: ﴿۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾.[2]

والزّكاة حقّ الله من عباده، فسمّيت زكاةً لأنّها تطهر وتزكّي أموال صاحبها وكذلك النّفوس من البخل، فهي بذلك تصل بين الغني والفقير بصلة الأخوّة والمحبّة والتّعاون لقوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾.[3]

وهي واجبة على كلّ إنسان توفّرت فيه شروطها، والمانع من إخراج الزّكاة يسلّط الله عليه عذابًا في الدّنيا والآخرة.

[1] سورة العنكبوت، الآية 45.

[2] سورة التّوبة، الآية 60.

[3] سورة التّوبة، الآية 103.

أمّا رابع ركن فهو الصّوم أي الامتناع والإمساك عن كلّ المفطرات من بزوغ الفجر إلى غروب الشّمس مع النية جزاءً واحتسابًا، فقد فرضه الله سبحانه وتعالى على عباده شهرًا من كلّ سنة فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾.[1]

فالصّوم يربّي النّفس على الطّاعة والصّبر والتّقوى وهو شهر الرّحمة والمغفرة والبركة أُنزل فيه القرآن فقال عزّ وجلّ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾.[2]

فالله سبحانه وتعالى سهّل لعباده الصّوم في المرض والسّفر وذلك بالصّوم بعد الشّفاء والرّاحة وإن لم يستطع فيقدّم فدية طعام على الأيّام التي فطر فيها.

أمّا بالنّسبة لآخر ركن وهو الحجّ إذ جعله الله قبلة المسلمين في صلواتهم ودعواتهم أينما كانوا لقوله عزّ وجلّ: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤﴾.[3]

[1] سورة البقرة، الآية 183.

[2] سورة البقرة، الآية 185.

[3] سورة البقرة، الآية 144.

فالكعبة الشّريفة هي مَجْمَعُ المسلمين من كلّ بقاع العالم فتوحّدهم وتقويهم بالله الواحد والرّسول صلّى الله عليه وسلّم ودين الإسلام فجاء في قوله تعالى في سورة الحجّ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾.[1]

ومهما انحرفت نفس الإنسان وتبعتها توبة نصوح غفر الله له ذنوبه لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾.[2]

فالله سبحانه وتعالى غفور رحيم بعباده "لا يتضرّر بظلم الظّالمين، وإنّما ضرر ظلمهم عائد على أنفسهم، نعوذ بالله تعالى من الظّلم والظّالمين، وإنّ هذا النّوع من الظّلم هو أخفّ أنواع الظّلم وأسرعها محوًا، فإنّه يمُحى بالتّوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفّرة".[3]

فعلى الانسان أن يعترف بذنبه ويتوب إلى الله فإنّه يغفر ويتوب على عباده.

02.ظلم الإنسان لغيره:

الظّلم في مفهومه العام هو تعدٍّ على الآخر في ماله ودمه وعرضه، وهو كالسمّ القاتل والدّاء الفتّاك، إذا انتشر في المجتمعات فكّك أفرادها وجعل بينهم عداوة، وهذا ما نصّ عليه الحديث القدسي، "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا".[4]

---

[1] سورة الحجّ، الآية 27.

[2] سورة النّساء، الآية 110.

[3] محمد إبراهيم أحمد سيف، إنكار الظّلم في ضوء الكتاب والسّنة، ص61.

[4] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، الجزء الثّالث، كتاب البر والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم، رقم الحديث 2577، ص1093.

يتّضح لنا من خلال هذا الحديث أنّ الله سبحانه وتعالى رحيم بعباده، فحرّم الظّلم على نفسه أوّلا، ثمّ العباد فيما بينهم لما فيه من مَضَرَّةٍ، ومن صوره:

أ.ظلم الوالدين للأولاد: الذي تجسّد في:

***التّمييز بين الأولاد في العطيّة:**

وبذلك ورد قول النّعمان بن بشير رضي الله عنه: "أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ اِبْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ" قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ".[1]

وبهذا فإنّ الهبة أو العطيّة تولّد العداوة والبغضاء بين الأبناء ممّا يؤدّي في بعض الحالات إلى قطع صلة الرّحم، وجاء هذا الحديث ليحثّ الوالدين على العدل بين الأبناء في كلّ صغيرة وكبيرة.

***تقصير الآباء في حقوق أبنائهم:**

الأبناء هم نتاج الحياة الزّوجية، وزينتها لقوله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾.[2]

هذه الدّنيا تكون مزيّنة بالأبناء الذين هم كبذرة خير، أينما زرعتها نمت وترعرعت وأكثرت من عطائها، وهذا كلّه راجع إلى تربية الآباء لأولادهم تربية صالحة، ويجب تقديم مَالَهُمْ وتعريفهم بما عليهم.

---

[1] شهاب الدّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الثّامن، كتاب الهبة وفضلها والتّحريض عليها، باب الإشهاد في الهبة، رقم الحديث 2587، ص222.

[2] سورة الكهف، الآية 46.

وكلّ إنسان في المجتمع إلّا ومنحه الإسلام مسؤُولية، وهذا ما جاء به نبيّنا الحبيب محمد صلّى الله عليه وسلّم بقوله: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ".[1]

هذه المسؤولية الموكّلة للوالدين هي مسؤولية واسعة النّطاق حمّلها لهم الإسلام ليُخرجوا النَّشْأَ الصّالح، وإن لم يقدّموا لهم التّربية الصّالحة، فهذا ظلم بحقّهم يُسأل عنه الوالدان يوم القيامة، فعلى الأولياء توفير الحبّ والحنان والرّحمة لأبنائهم وبهذا ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهِ وَسَلَّمَ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فقال الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا !فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: "مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ".[2]

ب.معاملة الزّوجة بالسّوء وانتهاك حقوقها:

المرأة مسؤولة في بيت زوجها لأنّها عماده، فالإسلام دعا إلى اختيار الزّوجة الصّالحة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ

[1] شهاب الدّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الثّامن، كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيّده، ونسب النّبي صلّى الله عليه وسلّم المال إلى السّيد، رقم الحديث 2558، ص164.

[2] المصدر نفسه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وقبلته ومعانقته، رقم الحديث 5997، ص342.

أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾.[1]

فاختيار الرّجل للزّوجة الصّالحة وهي كذلك، يساهم في البناء الجيّد للبيت ومدِّ الأولاد بالأخلاق الحسنة.

فديننا الحنيف جاء ليعطي للمرأة مكانتها وحقّها بعد ما كانت مهمّشة، فأمر الأزواج بحسن معاملة زوجاتهم لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ* لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾﴾.[2]

فهذه الآية تبيّن لنا حسن العشرة بين الزّوجين، كما أنّ الحديث النّبوي حثّ الرّجال على الوصاية بالنّساء خيرا لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمَهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزُلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا".[3]

---

[1] سورة البقرة، الآية 221.

[2] سورة النّساء، الآية 19.

* لا تقهروهنّ.

[3] شهاب الدّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الخامس عشر، كتاب النّكاح، باب الوصاة بالنّساء، رقم الحديث 5186، ص498.

للزّوج مسؤولية اتّجاه عائلته، كما أنّ للزّوجة مسؤولية في بيتها وبذلك فإنّ "الحياة الزّوجية تستوجب الشّعور بالمسؤولية وتقتضي هذه المسؤولية أن يرعى كلّ من الزّوجين صاحبه ويرعى حقوق الآخر عليه وينفذ ما عليه من الواجبات اتّجاه الآخر، وبذلك تكون حياتهما الزّوجية سعادة كلّها تغمرها المودّة والمحبّة والطّمأنينة".[1]

فيجب على كلا الزّوجين أن يكونا على قدٍّ المسؤولية الممنوحة لهما في الحياة ليكونا سعيدين، ويقدّما صورة مثالية عن العائلة الإسلامية النّابعة من القرآن الكريم والسنّة النّبوية.

ج.ظلم الجيران[2]:

من صور ظلم الإنسان لأخيه ظلم الجار وديننا الإسلامي جعل للجار مكانة مرموقة في المجتمع وحثّ على الإحسان إليه ومعاملته بالتي هي أحسن فقال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾.[3]

فمن خلال الآية الكريمة يتّضح لنا أنّ الجار نوعان: "الجار ذي القُربى يعني: الذي بينك وبينه قرابة، والجار الجُنُبِ: الذي ليس بينك وبينه قرابة، وكذا رُوي عن عكرمة ومُجاهد، قال نوف البكالي

[1] عامر سعيد الزّيباري، أحكام الخلع في الشّريعة الإسلامية، دار ابن حزم، لبنان، 1997م، ص34.

[2] محمد إبراهيم أحمد سيف، إنكار الظّلم في ضوء الكتاب والسّنة، أطروحة لاستكمال درجة الماجيستر في أصول الدّين، كلّية الدّراسات العليا، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2007م، ص42.

[3] سورة النّساء، الآية 36.

في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡجَارِ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ يعني: الجار المسلم، ﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ يعني: اليهودي والنّصراني، وقال مُجاهد في قوله: ﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾، يعني: الرّفيق في السّفر".[1]

ومهما كان نوع الجار إلّا أنّ له حقّ على جاره، والذي يتمثّل في عدم إيذاءه ومضايقته وهذا دليل على قوّة الإيمان لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ".[2]

فعدم إيذاء الجار قولًا وفعلًا ناتج عن الإيمان والتّصديق بركنين من أركان الإيمان أَلَا وهما: الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، ومن هذا يظهر لنا أنّ للجار مرتبة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "مَازَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ".[3]

وبهذا يكون الجار كأنّه فرد من أفراد العائلة.

[1] محمد إبراهيم أحمد سيف، إنكار الظّلم في ضوء الكتاب والسّنة، ص43.

[2] شهاب الدّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الثّامن، كتاب الأدب، باب من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم الحديث 2018، ص373.

[3] المصدر نفسه، كتاب الأدب، باب الوصاءة بالجار، رقم الحديث 2015، ص364.

د.الإرهاب[1] :

هو ظاهرة سلبية ناتجة عن الانقسام الاجتماعي أو الدّيني و"يأتي بمعنى رعب وتعني خوفا أو قلقا متناهيا أو تهديد غير مألوف وغير متوقع، وقد أصبح هذا المصطلح يأخذ معنى جديد في الثّلاثين عامًا الأخيرة وتعني استخدام العنف وإلقاء الرّعب بين النّاس".[2]

وبالتّالي فالإرهاب هو سيطرة القوي على الضّعيف ونهب خيراته وممتلكاته ويزرع في النّاس الرّعب والفزع فقال عزّ وجلّ: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾.[3]

والإرهاب ينقسم إلى نوعين اثنين هما:

***إرهاب مشروع:**

قال عزّ وجلّ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.[4]

بمعنى يجوز للإنسان أن يقف في وجه عدوّ الله وعدوّ أمّته ومحاربته.

---

[1] محمد إبراهيم أحمد سيف، إنكار الظّلم في ضوء الكتاب والسنّة، ص47.

[2] حسين وحيد، علي جبار، ماهية الإرهاب الدّولي ومراحل تطوّره، كلّية التّربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 08، 2012م، ص240.

[3] سورة الحشر، الآية 13.

[4] سورة الأنفال، الآية 60.

*إرهاب غير مشروع:

وهو تعنيف وإخافة البريء من النّاس بالسّلاح وغيره من وسائل التّرهيب والتّخويف وهذا ما قاله صلّى الله عليه وسلّم: "لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ".[1]

فالرّسول صلّى الله عليه وسلّم نهى عباد الله بعدم رفع السّلاح في وجه أخيه لأنّ الشّيطان يُغريهم بأن يضرب أحدهم الآخر وبهذا يكون مصير حامل السّلاح للقتل بغير حقّ الخروج من أمّة سيّدنا محمد عليه الصّلاة والسّلام، وهذا ما جاء في قوله: "مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا".[2]

ومن صور ظلم الإرهاب أخذ شيء من الأرض بالعدوان، فيعدّ صاحب هذا الفعل الدَّنيء ظالما وإرهابيا لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "مَنِ اِقْتَطَعَ أَرْضًا ظُلْمًا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَان".[3]

ومن هذا الحديث نستنتج أنّ الذي يأخذ جزء من أرض أخيه بالعنف يلقى جزاء الغضب من الله عزّ وجلّ.

كما أنّ في آخر هذه الدّنيا يكثر القتل لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا العِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ" وَالهَرْجُ: القَتْلُ.[4]

---

[1] شهاب الدّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الثّالث والعشرون، كتاب الفتن، باب قول النّبي صلّى الله عليه وسلّم: "من حمل علينا السّلاح فليس منّا"، رقم الحديث 7072، ص47.

[2] المصدر نفسه،رقم الحديث 7070، ص45.

[3] محمد إبراهيم أحمد سيف، إنكار الظّلم في ضوء الكتاب والسّنة، ص46.

[4] شهاب الدّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الثّالث والعشرون، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، رقم الحديث 7063، ص34.

فالإرهابي يزرع في نفوس النّاس الخوف والقلق، وبالتّالي فهو ظالم ولا ينجو من العذاب ولو كان بعد زمن لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ".[1]

فالله سبحانه وتعالى يترك الظّالم يتمرّد في ظلمه، ولا يَعْجَل بمحاسبته، لكن عندما يأخذه فعقابه عسير. وظلم الإنسان لغيره لا ينحصر في هذه الصّور فقط، بل يتعدّاها فهو يرافق الإنسان في حياته اليومية.

[1] محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصّالحين من كلام سيّد المرسلين، دار الوطن للنّشر، الرياض، 1425هـ، المجلد الثّاني، باب تحريم الظّلم والأمر بردّ المظالم، ص498.

الفصل الثّاني:

تجلّيات صورة "المظلوم"

في رواية "المضطهدون"

المبحث الأوّل:

تجلّيات المظلوم في العنوان

أوّل ما يشدّ انتباه القارئ هو العنوان الذي يعتبر تأشيرة للولوج إلى العوالم الإبداعية المجهولة، كما أنّه همزة وصل بين القرّاء والمبدعين وهذا راجع "لكونه عاملا مهمّا في تحقيق الرّسالة التّواصلية والبلاغية للنصّ المكتوب".[1]

وبهذا يكون المبدع حريصا ومهتمّا في اختيار أجود العناوين وأبلغها لتجذب القارئ الذي هو وسط صراع في فكّ شيفرات العنوان.

احتوت الرّواية التي نحن بصدد دراستها على عنوان رئيسي "المضطهدون"[2]، وعناوين فرعية كانت بدايتها بعنوان "خواطر محظورة" وختمت بعنوان "محكمة"، وتخلّل هذين العنوانين عناوين أخرى الموعد، لآخر رمق، وجه آخر.

فالمضطهدون هو العتبة الأولى والأساسية للرّواية، والمتصفّح لهذه الأخيرة يجد العنوان مرتبطا بمضمونها، فقد كتب العنوان بخطّ سميك واضح وبلون أحمر دلالة على الدم.

حينما نقول "المضطهدون" من البداية، الرّواية توجّهني صوب عدم الأمان والاستقرار وكثرة الضّحايا وبذلك نكون أمام فاعل لهذا الفعل وهو شخص يسمّى بالمضطهد أو الظّالم.

المضطهدون، المظلومون، المعذّبون، آهات وصرخات، زهق للنّفوس، قهر، فتك وبطش.

المضطهدون في أيّ قاموس تصنّف المفردة هاته، بلغة أهل النّحو اسم مفعول لفعل الاضطهاد بسبب عرق أو دين، أو تفكير خالف القانون الذي سنّه الله ناموسا من نواميس الكون.

---

[1] نور السّادات جودي، بلاغة التّقابل في روايات عز الدّين جلاوجي، مذكّرة لنيل شهادة الماجيستر، كلّية الآداب واللّغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم اللّغة العربية وآدابها، 2013م-2014م، ص127.

[2] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

تحت عناوين مختلفة ووجهات متنوّعة وسلوكات اجتماعية وثقافية، ساد الغموض على مستوى التّمييز، سلوك تجاوز الحدود إلى المفهوم الدّيني والعرقي والسّياسي والثّقافي دون توخّي لرأي الآخر ولا لحريته، تأسّس سلوك الاضطهاد كنوع من الإرهاب وسلوك شذّ عن المألوف وعن الطّبيعة.

فلفظة "المضطهدون" جاءت معرّفة بالألف واللّام، وكأنّ الرّوائي يقول بأنّ هؤلاء الذين وقع عليهم فعل الاضطهاد والظّلم لَيْسُوا بغرباء عنَّا بل نعرفهم، وهم جماعة وليس فردًا واحدًا، ووقوع فعل الاضطهاد مرهون بمكان وزمان غير مصرّح به وكأنّ هذا الحدث يشمل جميع الأزمنة والأمكنة.

المبحث الثّاني:
تلخيص الرّواية

عالجت رواية "المضطهدون" للكاتب والرّوائي "الهاشمي سعيداني" موضوعا اجتماعيا تاريخيا تمثّل في معاناة الفلّاح الجزائري الذي اغتصبت أراضيه الخصبة من طرف "الكولونيل ريموند" وعيشه في الجبال وحرثه للأراضي القاحلة وتدور هذه الأحداث في منطقة "حبس الباي".

فالرّوائي قسّم روايته إلى خمسة أقسام ضمّت عدّة فصول وُسِمَتْ بعناوين كلّها تَصُبُّ في موضوع واحد، فنجده يستهلّ فصوله بحيّز طبيعي تتنامى في الأحداث إلى أن وصل إلى الفصل التّاسع من القسم الأوّل الذي استهلّه بهبوب الرّياح بقوله: "في حبس الباي، استمرّ هبوب الرّياح الحارّة والقويّة التي سدّت الأفق بالأتربة وأشاعت في الجوّ ثقلا لا يطاق ممّا جعل النّاس يتوقون إلى المروق في أثوابهم، وخبا ضوء النّهار ففقدت السّماء زرقتها المفرطة وأصبح لابدّ للرّعد أن يقصف حتّى يصير كلّ شيء طبيعيّا، لذلك ظلّت الأبصار معلّقة في الفضاء تترقّب أدنى بادرة خير رغم الضّيق والكدر اللّذين كان من الواضح أنّهما باتا يسيطران على الجميع ويطبعان تصرّفاتهم".[1]

وهذا لم يرد اعتباطا وإنّما له علاقة بالجوّ الاجتماعي الخانق المشحون بشحنات الظّلم والدم الذي يسبق عواصف الثّورة، ومع ذلك فإنّ "الهاشمي سعيداني" صوّر لنا الرّيف الجزائري أثناء الثّورة بمآسيه وفقره المذقع وعسرة الحياة، وأراضيه العقيمة عديمة المنفعة المجْبَرِينَ على القطون بها، هذا ما تجلّى في قوله: "الأفق القاني يكتنفه صمت مريب، وسهام الشّمس النّارية تتكسّر على ذري الجبال العالية بشكل أسطوري فتوشحها بالدم في حين غرقت الحقول الواطئة في ظلال قاتمة، وعلى سفوح التّلال المتناثرة الحزينة، أحنت أزهار الشّيح الجميلة قاماتها في إطراقة أبدية بين خطوط الأسلاك الشّائكة، الممتدّة من الشّرق إلى الغرب، ومن الشّمال إلى الجنوب".[2]

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص85.

[2] المصدر نفسه، ص09.

فأرض "المضطهدون" تحمل جميع الصّفات المصاحبة للظّلم والفقر، أمّا أصحابها فهم الأميون الذين يمثّلون الطّبقة المسْتَغَلَّةِ والمظلومة والمحرومة والمنْتَهَكَةِ حقوقهم.

فالطّفل "حسن" يتيم وفقير وفضولي يريد معرفة كلّ ما يدور حوله، عاش حياة قاسية مع زوجة أبيه "مهدية"، كذلك لم يحظى باهتمام والده "أحمد"، فوجد في الشّيخ "بوعلام" معلّم القرآن أبا خَيْرًا من أبيه الحقيقي لأنّه علّمه الحياة وما يجول فيها.

أمّا "أحمد" الذي أنهكته الحياة بقساوتها فيبدو أكبر بكثير من سنّه الحقيقي فهو لم يلق الابن البارّ ولم يجد الزّوجة الصّالحة المطيعة، كما أنّه تعرّض لنهب كلّ ممتلكاته من حصان وشجيرات الصبّار والزّيتون، ثمّ قال "للعم بوعلام": "عند دفع الضّرائب كنت أبيع كلّ شيء –رؤوس الماشية- جزءا من مؤونة الأسرة من الشّعير، حلي أمّ الأولاد، كلّ شيء لأجل تلك الشّجيرات التي تعتمد اعتمادا كبيرا على ما تُنبته لنا من ثمار نستعين بها على مغالبة الجوع وسدّ الرّمق".[1]

فسكّان "حبس الباي" كانوا يُكَابِدُونَ من أجل الحصول على لقمة العيش، لكن المسْتَعْمِر كان يخطف هذه اللُّقم من أفواههم.

تقلّد "سي عبد الله" والد "أحمد" منصب قائد دُوراه الذي يحظى ببعض الامتيازات إلّا أنّه لم يواجه غير الذلّ والإهانة فلقي مصرعه على عجلات شاحنة عسكرية.

أمّا معاناة الأطفال في الحصول على لقمة عيشهم كانت من أصعب الصّور التي رسمها لنا الرّوائي فنجد "حسن" يسرد "للعم بوعلام" ما حدث "أنت لا تعلم كيف لقي زميلي الصديق حتفه، لا أحد يعلم كان المسكين ذاهبا إلى مجمع القمامة بعد أن ظلّ يرتقب شاحنة الجنود التي تنقل الأزبال

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص32.

طيلة أيام عديدة، كنّا جائعين جوعا شديدا وقال لي أنّه تعوّد أن يذهب إلى هناك للبحث عن علب الجبن والسّمك وذهبت معه ولكنّه داس على زجاجة مكسورة فشقّت قدمه شقًّا".[1]

بعد كلّ هذه الحوادث قرّر "أحمد" وجماعة من أهل قريته شنّ الحرب على المستعمر لأنّ الصّبر لم يعد يجدي نفعا فتلقّى بعضهم الشّهادة، أمّا "أحمد" فكان مصيره إلقاء القبض عليه من طرف السّلطات الاستعمارية واعتقاله لأن يحين موعد محاكمته.

و"حسن" الذي كان طفلا كَبُرَ وأصبح شابًّا تَعَذَّبَ في حياته فقرّر السّفر إلى عمّه "عباس" وابنه "حمودي" ليطلب دعمهما في البحث عن والده لكنّه وجد مشقّة في تلك السّفرة وواجه متاعب وضربات قويّة من المسْتَعْمِرِ إلّا أنّه كوّن جماعة هو و"حمودي" لتدمير محطّات العدوّ وإخراج والده "أحمد" من السّجن، فَتَجَمْهَرَ المسَانِدُونَ "لأحمد" حول المحكمة فكان بذلك نصرهم وعبّروا عن فرحتهم بحمل "أحمد" على أكتافهم ورفع العلم الجزائري مع ترديد عبارة "تحيا الجزائر".

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص35.

المبحث الثّالث:

صورة المظلوم في الرّواية

عرضت لنا رواية "المضطهدون" واقعا مريرًا عاشه أبناء "حبس الباي" جرّاء الاستعمار الفرنسي، فكشفت عن الظّلم بأبعاده الاجتماعية والسّياسية والاقتصادية المطبق على جميع فئات المجتمع.

استطاع "الهاشمي سعيداني" أن يعرض لنا عدّة صور للمظلوم فجعل من الطّفل "حسن" ووالده "أحمد" شخصيتان رئيسيتان لما تعرّضا إليه من ظلم واضطهاد فكانتا المحرّك للمتن الحكائي، دون التّخلّي على الشّخصيات الأخرى التي كانت مهمّة ولها دور في سير الأحداث، كيف تجسّدت صورة المظلوم في الرّواية؟

01. الطّفل المظلوم:

الطّفل هو بذرة الأسرة وصانع المستقبل وعماد المجتمع وزينة الحياة لقوله تعالى:﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾.[1]

هذه الدّنيا تكون مزيّنة بالأبناء الذين هم بذرة خير، أينما زرعتها نمت وترعرعت وأكثرت من عطائها، وبالتّالي فإنّ هاته الفئة لابدّ لها أن تحظى بكامل الرّعاية والاهتمام، فالرّواية اتّخذت عدّة صور للطّفل المظلوم تمثّلت في:

الحرمان من حبّ وحنان الأمّ وذلك بتدخّل زوجة الأب فمثلا: نجد "مهدية" التي "كانت السّبب في إقصاء أمّ حسن من بيتها".[2]

فالرّوائي جعل من "الأمّ" رمزا للأراضي المسلوبة من طرف المستعمر، وكذلك بيّن لنا من خلالها شخصية الطّفل "حسن" الذي يعاني الفراغ والحرمان العاطفي؛ فبدأت تظهر عليه الاضطرابات كالقلق والخوف فشعر "بالاختناق وكاد قلبه يقفز من بين ضلوعه لفرط الرّعب الذي أصابه، ثمّ

[1] سورة الكهف، الآية 46.

[2] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص11.

انطلقت الصّرخة التي ظلّت محبوسة في حلقه وفتح عينيه المليئتين بالرّعب في أثر ذلك فالتقتا بعيني مهدية التي كانت في هذه الآونة جالسة بالقرب من الموقد تحدّق فيه بشراسة وهو في فراشه".[1]

فعدم الشّعور بالأمان صاحبه حتّى في غفوته ممّا جعله يستفيق مفزوعًا وقبل أن يدرك ما جرى أخذ عجلته وبدأ يَعْدُو باحثا عن مكان يُشْعِرُهُ بالرّاحة فوصل إلى "أطراف الحقل الذي يشتغل فيه والده، توقّف عن الجري فألقى عجلته وجلس بجانبها يسترد أنفاسه اللّاهثة، محملقا فيها يحيط به كما لو كان يبحث في سكون ونظام الطّبيعة عمّا يدلّه على سرّ القانون الذي يحكم تلك الحياة ويعطيها معناها ووجهها المميّز لها".[2]

يبدو أنّ الظّروف الصّعبة ولّدت لديه إحساسًا بالضّياع إذ كانت دائمًا تدفع به إلى الهروب والبحث عن أجوبة لأسئلة تتزاحم في رأسه الصّغير وذلك بتأمّله فيما يدور حوله.

و"أحمد" كان يعلم أنّ خروج "مهدية" من البيت يبعث الرّاحة والفرح في نفسية "حسن" "فحدث أكثر من مرّة أن عاد من عمله في الحقل وقد مضى الهزيع الأوّل من اللّيل ليجده نائمًا خارج الكوخ".[3]

وهذا دليل على أنّ المعاملة القاسية التي يتلقّاها "حسن" من قبل "مهدية" جعلته يفضّل البقاء في الطّبيعة ومواجهة مخاطرها بدل الرّجوع إلى ذلك الكوخ.

وحتّى لو رجع لا يلقى الاستقبال والعناية ففي أحد المرّات "كان نائمًا في ركن الحجرة، وكان ظهره عاريا، لم تهتم به مهدية".[4]

---

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص23.

[2] المصدر نفسه، ص25.

[3] المصدر نفسه، ص12.

[4] المصدر نفسه، ص67.

كلّ هذا يعبّر عن تعاسة الطّفل "حسن" وتهميشه من طرف "مهدية".

ونجد صورة من ظلم الأطفال الذين "اشتركوا في الإحساس بالجوع ومسّتهم الفاقة كما تقاسموا مرارة الحاجة وضنك العيش".[1]

فالفقر والجوع ظلّا كابوسًا خانقا لمنطقة "حبس الباي" إذ دفع شبح هذا الفقر والجوع "الصديق" إلى الهلاك ف"كان المسكين ذاهبًا إلى مجمع بعد أن ظلّ يترقّب قدوم شاحنة الجنود التي تنقل الأزبال طيلة أيّام عديدة، كنّا جائعين جوعا شديدا وقال لي أنّه تعوّد أن يذهب إلى هناك للبحث عن علب الجبن والسّمك وذهبت معه ولكنّه داس على زجاجة مكسورة فشقّت قدمه شقًّا".[2]

فَضَّلَ الأطفال المخاطرة بحياتهم من أجل سدّ الجوع بلقمة من مخلّفات العدوّ، فيتجلّى الحرمان والبؤس بكلّ معانيه فنجد "حسن" يفكّر "قد يمرّ عليّ يومان قبل أن آكل مرّة أخرى".[3]

وهذه الأوضاع ماهي إلّا نتيجة خلّفها المستدمِرُ في الجزائر الذي نهب ثرواتها وترك أبناءها عُرضة لنخر الفقر والجوع.

عكست الرّواية مجموعة من الصّور المؤلمة وخاصّة الفقراء الذين لا يملكون ما يدفع عنهم آلامهم ومن هذه الصّور الحزينة صورة الطّفل الذي لقي مصرعه بلدغة عقرب؛ وتصادفنا صورة أخرى "للصديق" الذي "يفقد حياته بسبب حادث بسيط... حطام زجاجة يمزّق قدمه. الجرح يتعفّن

[1] فاطمة عكاشة، البنية السّردية في "الحفر في تجاعيد الذّاكرة" لعبد الملك مرتاض، مذكّرة مقدّمة لنيل درجة الماجيستر، كلّية الآداب واللّغات والفنون، جامعة وهران، السّانيا، 2012م-2013م، ص32.

[2] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص35.

[3] المصدر نفسه، ص29.

وينتفخ، العفن يسبّب له الحمّى، وهكذا يتطوّر الأمر وتقع الكارثة، وخلال ذلك لا يستطيع الإنسان أن يجد طبيبا أو ممرّضا يتدخّل لإبعاد الخطر".[1]

وهنا نكون أمام تشابك لصور الفقر والجوع والمرض التي زهقت بعدّة أرواح أبرياء كان هدفهم الوحيد في هذه الحياة التّمتّع بعيشة كريمة.

كما نجد الجهل والأمية يتسلّل إلى بيوت منطقة "حبس الباي" وذلك بسبب الفقر المذقع وصعوبة الحياة، وحتّى الأطفال الذين قُبلوا في مدرسة الحيّ الأعلى ما لبثُوا فيها لأسباب متعدّدة "فالصديق مثلا، أجلسه المعلّم بمفرده في المقعد الأخير، لأنّه مثل الأشياء الكريهة التي ينبغي دائمًا أن توضع جانبا لكي لا تؤذي الشّعور بمنظرها ورائحتها، ولم يكن يدعوه إلى المنصّة إلّا لأجل تقديمه للصفّ كنموذج لما يجب تجنّبه".[2]

وبالتّالي التّمييز والمعاملة القاسية التي انتهجها المعلّم ضدّ "الصديق" جعلته يكره التّعلّم والذّهاب إلى المدرسة مع تمنّيه بتركها فكان وصوله إلى مُراده محقّقا.

فالطّفل قد يتعرّض في حياته إلى أنواع مختلفة من الظّلم والقسوة فمثلا: الطّفل الصديق" الذي لقي ظلم الأصدقاء بالتّعدّي عليه بالضّرب "فنادى الصّبيّ بأعلى صوته يطلب الغوث، ولكن الأجسام المتراصّة فوقه سرعان ما خنقت صوته".[3]

فكان لهذا الوضع المزري الذي يعيشه أثره البالغ، إذ انعكس ذلك على حياته سلبا.

---

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص45.

[2] المصدر نفسه، ص41.

[3] المصدر نفسه، ص43.

كما وصف لنا الرّاوي أطفال منطقة "حسن الباي" بقوله: "كانت لهم أجسام ضامرة سريعة الحركة، وكانت أظافرهم طويلة لحدّ ملفت للنّظر، وقد التصقت بها الأقذار حتّى صارت تبدو كأنّها جزء منها، في حين اخشوشنت أقدامهم وتشقّقت بشكل فاضح، ممّا يدلّ على أنّها لم توضع في أحذية تقيها عوامل الطّبيعة القاسية منذ ولادتهم".[1]

فالوصف جاء من أجل رسم صورة واقعية عن الحياة المزرية في "حبس الباي" وتقريبها من ذهن القارئ.

02. الشّاب المظلوم:

كان الرّوائي قد أدرج مجموعة من صور الظّلم في روايته من بينها ظلم الشّباب الذي يُعتبر هذا الأخير عنصرا فعّالا في المجتمع.

الظّروف القاسية لها أثر بالغ على "علوان" الذي "يجلس في ارتخاء مسندًا ظهره إلى الجدار، عاقدًا يديه حول ركبتيه البارزتين من سرواله البالي وقد بدا ظهره مقوّسًا، وعند ناصيتيْ عينيه ارتسمت تلك التّجاعيد التي تنمّ عن القلق والسّآمة والإحساس بالضّياع".[2]

الفقر والشّعور بالضّياع والتّهميش جعله "يتصرّف بثورية؛ فالثّورة ليست ضدّ الاحتلال فقط، بل ثورة ضدّ الموروثات البائسة وضدّ القمع والقهر الاجتماعي".[3]

كلّ هذا جعله يَنْظَمُّ لجماعات الثوار، فلقي شهادته من خلال جهاده في سبيل حرية وطنه.

---

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص41.

[2] المصدر نفسه، ص37.

[3] ماجد ولين ماجد عبد الهادي السّويطي، صورة الرّجل في الرّواية النّسوية الفلسطينية "سحر خليفة أنموذجا"، رسالة لإكمال متطلّبات درجة الماجيستر، جامعة الخليل، عمادة الدّراسات العليا، برنامج اللّغة العربية وآدابها، 1433هـ-2012م، ص125.

أمّا "حسن" ذلك الطّفل الفضولي الذي يدسّ في أعماقه شعورا "بالحرمان والضّياع، وكذلك الشّقاء والبؤس اللّذين كابدهما، واللّذين وجد لهما التّفسير في أحاديث السكان ومناقشاتهم، كان كلّ ذلك يحرّك خياله ويدفع به إلى نوع من محاولة التّصوّر لما يجب أن يكون عليه المستقبل".[1]

كبر وأصبح شابّا يفهم معنى الحياة من خلال تأمّله فيما يدور حوله، عمل لكسب قوته، لكن ما قدّمته له قرية "حبس الباي" من مآسي جعله يشدّ رحاله إلى المدينة ليبحث عن سعادته وعن أبيه "أحمد"، في طريقه إلى المدينة تعرّض لتوقيف من قبل القوّات الاستعمارية لكنّه مضى "يَعْدُو ويقفز على الأحجار المدبّبة، والأغصان اليابسة السّاقطة على الأرض، بذيل برنسه المهتزّ، الخافق في الهواء كأنّه راية على رأس حربه، ولم يكن يتوقّف عن العَدْوِ إلّا ليستردّ أنفاسه اللّاهثة، ثمّ ينطلق مجدّدا وهو لا يعلم أين سينتهي به المطاف وإنّما كان يستشعر من الفراغ الهائل المحيط به ما يشبه قبضة حديدية تضغط على قلبه بالتّدريج حتّى توشك أن تزهق روحه، فتتوق نفسه إلى الجري والانعتاق!".[2]

وبعد نجاته من قبضتهم ووصوله إلى حيث كانت وجهته "اشتغل حمّالا، بائعا لفطائر الطّماطم، منظّفا للكؤوس في الحانات، وكان في البداية يتسلّل إلى سلالم العمارات لينام تحتها، وأحيانا يأوي إلى جدران المخابز يستدفئ بها".[3]

بعد هذه المعاناة التقى ب"حمودي" ابن عمّه "عبّاس" وقاسمه كلّ شيء، فحمودي "شاب شجاع ضرب "إسحاق اليهودي" ضربًا مبرحًا بسبب ما فعله هذا الأخير "بصق في كفّ متسوّل ضرير كان باسطا يده للمارّة يطلب منهم صدقة".[4]

---

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص50.

[2] المصدر نفسه، ص193.

[3] المصدر نفسه، ص224.

[4] المصدر نفسه، ص263.

فالإنسان أحيانا لا يستطيع الصّمود أمام ألوان التّنكيل والظّلم في السّجون والمعتقلات فمثلا "حمودي" يسرد ما حدث له في هاته الأماكن "منذ بضع سنوات أخذوني بسبب التحاق والدي بالمجاهدين مع الأوائل ولما كرهوا من تعذيبي قذفوني بالرّكل... يبدو أنّ المعتقلات أصبحت غير كافية لحبس الجميع، لذلك قتلوا الكثير وأطلقوا سراح من لا خطر فيهم مثلي".[1]

"فحسن" كان يطمح لحياة أفضل في هذه المدينة، لكن حدث ما لم يكن في الحسبان، الأمور ازدادت تعقيدًا، فقرّر هو و"حمودي" أن يكوّنا جماعة تثور على الوضع المزري الذي يعيشونه وإخراج العدوّ من أرضهم لأنّ "الثّورة التّحريرية في الجزائر شكّلت نقلة نوعية في حياة المجتمع الجزائري، هذه الثّورة التي لم تكن ذات طابع عسكري بحت، كما يظنّ البعض، بل شملت مختلف ميادين المجتمع الجزائري".[2]

السّلطات الاستعمارية كان هدفها التّحكّم في جميع نطاقات الجزائر والتّمتّع بخيراتها.

كان "حسن" في كلّ مرّة يرى فيها دورية يبتعد عنهم لكي لا يسبّب المشاكل "فإذا به يقتحم دون قصد دورية كانت تتجوّل في تلك الجهة، وقبل أن يتمكّن من التّلفّظ بحرف واحد ليعتذر انهالت عليه الضّربات العنيفة التي جعلته يهوي إلى الأرض!".[3]

كما أنّه تلقّى الكثير من الإهانات والشّتائم فلم يُعِرْهَا أيّ اهتمام لأنّ الألم كان يمزّق جسمه وما إن استعاد قواه وقام لينفّذ خطّته حتّى شرع رصاص رشّاشات الجنود يُلعلع في السّماء فأنقذ نفسه بتسلّق سور حديقة أحد المنازل "لم يكن تخطّي مثل ذلك الحاجز ميسورًا أو خاليا من المخاطر،

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص282.

[2] زهرة غرناوط، صورة الطّفل في القصّة الجزائرية المعاصرة 1980م/2010م دراسة نماذج، مذكّرة مقدّمة لنيل درجة الماجيستر، كلّية الآداب واللّغات، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، قسم اللّغة والأدب العربي، 2012م-2013م، ص121.

[3] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص314.

وخاصّة لمن كان مستعجلًا وكان الاضطراب والفزع يسيطران على تصرّفاته، بحيث يصعب عليه التّفكير في الحذر وقد أساء حسن في غمرة اندفاعه، اختيار الموضع الملائم لتركيز قدمه، التي كانت في الجهة الدّاخلية، حتّى يمكنه أن يرفع رجله الثّانية ويمرّرها فوق المتراس فانزلقت وشقّ الجزء المعدني الحادّ سرواله وجرحه في فخذه جرحًا كبيرًا شعر معه بالألم يخترق جسمه كالتّيار الكهربائي الصّاعق!".[1]

فالدّوريات لم تجد له أثرًا ولذلك انصرفوا فأحسّ ببعض الطّمأنينة لكن "الدم يتدفّق من فخذه الممزّق بلا توقّف بينما أخذت جراحه تنبض نبضًا متواترًا يفوق الاحتمال، ومن جديد انقلب على بطنه، وغرز أظافره في التّربة الطريّة، من شدّة التّأثّر، وهو يتنفّس بصعوبة".[2]

وما إن ضمّدت جراحه "نورة" التي تعمل في ذلك البيت، غادر ليُكمل مهمّته التي كرّس نفسه لأجلها.

فالرّوائي قدّم هذه الصّور من أجل تعريفنا بالشّاب الجزائري الذي لا يقبل الظّلم والإهانة.

03. المرأة المظلومة:

لقد كانت المرأة على مرّ العصور موضوع جدل، فكانت ومازالت هي الطّرف الأقلّ أهمّية في ثنائية (الرّجل/المرأة) عند بعض الشّعوب وعلى كافّة المستويات وهذا راجع لكونها موءودة جسديّا ومعنويّا "وقد يكون تأخّر المرأة ناجما عن جهلها والجهل يسبّب الغباوة والغباوة تسبّب الاستعباد والاحتقار، فالمرأة وسيلة للإنجاب على الأكثر تخدم زوجها وأولادها كأبسط واجباتها في هذا العالم".[3]

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص318.

[2] المصدر نفسه، ص319.

[3] هناء رزيق، صورة المرأة في رواية قليل من العيب يكفي! لزهرة ديك، مذكّرة لنيل شهادة الماستر، كلّية الآداب واللّغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، قسم الآداب واللّغة العربية، 2015م-2016م، ص31.

وبالتّالي هي المهمّشة والمظلومة والجنس الأدنى من الرّجل وهذه اللّامساواة تصاحبها على مدى حياتها ويظهر ذلك من خلال الفتاة "نورة" التي لم تتجاوز السّابعة عشر عامًا بقولها: "فقد تعوّدنا نحن هنا، منذ فتق ضوء الشّمس عيوننا المغلّفة بظلام الغيب، أن نحرم ممّا نريد ونصدّ عمّا نشتهي، ولقد كنّا نجد عزاءنا على الدّوام فيما تمنحنا إيّاه آلامنا الخالدة من قوّة!!".[1]

فنورة هي واحدة من بين اللّواتي كنّ يعملن في بيوت المسْتَعْمِرِ على الرّغم من صغر سنهنّ، كما أنّها عانت من رفض عائلتها بسبب مرضها "ممّا جعل والدتها تنظر إليها بحزن وألم وتسرّ إلى أخيها بأنّ ابنتها (مركوبة)، سكنها جنّي وهي لهذا السّبب ميؤوس منها، لا تُرْجَى منها فائدة ولا خير، ولو أخذها ربّها إلى جواره لكان في ذلك راحتها وراحة أهلها".[2]

ويظهر أنّ هاته الفتاة تعاني الظّلم حتّى من أقرب النّاس إليها فيتمنّون الخلاص منها، فكان عملها في خدمة العدوّ أهون بكثير من نظرات والدتها لها.

كما نجد صورة "حنيفة" التي "كان الحرمان والحزن عنوان حياتها"[3]، فهي تعاني رفض مجتمعها وعائلتها، فقدت كلّ حقوقها في الحياة كامرأة لها شخصيتها وكيانها، تبلغ من العمر أربعة وعشرين سنة، أرملة وأمّ لطفلين، تسكن في بيت قديم ذو باب مرقّع بالألواح في "نهج الجلود" الذي تنبعث منه رائحة كريهة والمليء بالذُّباب فمنزلها كان "عبارة عن محلّ تجاري قديم، مقسّم إلى قسمين بواسطة جدار من الآجر الأحمر فأصبح شبه حجرتين مشتركتين... ولم يكن في الحجرة التي وجد أحمد نفسه في صدرها بعد اجتياز العتبة مباشرة غير سرير حديدي قديم لم يكن بأحسن حال من جدران الغرفة

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص333.

[2] المصدر نفسه، ص353.

[3] فايزة بونقاش، نزيهة حاج جيلاني، صورة الآخر في كتابات محمد ديب (رواية هابيل أنموذجا)، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة ماستر، كلّية الآداب واللّغات، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، قسم اللّغة والأدب العربي، 2016م-2017م، ص39.

الحائلة الصّبغة نفسها، وطاولة متداعية مسندة إلى الحائط، عليها موقد بترول وبعض الصّحون والملاعق، وأخيرًا هنالك الحقيبتان الباليتان المستخدمتان في حفظ ملابس (الأطفال والأمّ)".[1]

فالرّوائي قدّم لنا وصفا دقيقا عن المنطقة وبيت "حنيفة" وذلك من أجل أن يقرّب لنا صورة المرأة الأرملة التي تواجه مصاعب الحياة وحدها دون سند يقدّم لها المساعدة وفي مخاطبتها لعمّها "أحمد" "وماذا بإمكان الواحد أن يفعل يا عمّي، لم أستطع أن أواظب على دفع الإيجار بعد موت أبو الأولاد".[2]

فهي لم تتعلّم ولم تعمل بل بقيت ماكثة في هذا المأوى ولم تحصل حتّى على بعض المال بعد وفاة زوجها من عمله.

وفي أثناء حديثها مع عمّها "اخترقت ذهنها صورة المالطي البدين، الموظّف في مكتب المحجر، وعادت إلى ذاكرتها أشياء أثارت في نفسها حقدا دفينا، ألم يحاول الخنزير أن يضحك عليها؟ كم ماطل وتحايل عليها وكم سبّب لها من متاعب بهدف إذلالها وإخضاعها لإرادته!".[3]

فقد طال ظلم "حنيفة" لكونها امرأة تعيش في مجتمع يجد في ذلّها وقهرها والتّسلّط عليها نوع من قوّته ورجولته.

كما لقت المرأة نصيبها من عنف المستعمر فمثلا نورة التي "تلقّت صفعتين وشرحت للضّابط عملها والمهمّة التي خرجت من أجلها".[4]

---

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص78.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص79.

[4] المصدر نفسه، ص339.

وتجلّت صورة أخرى لنساء يُكابدن مرارة الحياة ضدّ المستعمرين الذين "كانوا يبعثرون الدّقيق وينتزعون الأقراط من آذان النّساء أو يحاولون الاعتداء على حرماتهنّ...".[1]

فالمرأة لم تلقى غير الاضطهاد والظّلم والاستغلال من الآخر ولم تحظى بالحياة الكريمة بالإضافة إلى أنّها حُرمت من أبسط حقوقها كالتّعليم والعلاج وهذا ما جاء على لسان "أحمد" "ماتت امرأة أثناء ولادة عسيرة".[2]

على الرّغم من كونها مهمّشة في المجتمع إلّا أنّها ناضلت في سبيل حرية وطنها وبقيت صامدة في وجه العدوّ فنجد الرّاوي يصوّر المرأة تحت وطأة الاستعمار بقوله: "في الوهلة الأولى لم يكن بوسع أحد أن يرى شيئا في الظّلمة السّائدة ولكن عندما أنار الجندي المصباح انكشفت أمامهم جثة امرأة، كان وجهها مشوّها، وكان الجسم مغطّى كلّه بتقلّصات فضيعة بثور شفافة محتقنة، وقد أيقن أحمد أنّها جثّة المجاهدة التي سمع ذات ليلة صراخها، وفهم أنّهم شووها في زيت مغلي!".[3]

هذا المشهد دليل على حبّ وإخلاص المرأة لوطنها فهي تتحمّل مهما يسقط على جسمها الضّعيف من ظلم.

عكست الرّواية المجتمع النّسوي المظلوم إبّان الاحتلال الاستعماري.

04. العجوز المظلوم:

هذه الفئة يجب أن تحظى بالحبّ والاحترام والرّعاية، لكن ما نجده في رواية "المضطهدون" عكس ذلك حيث نرى "أمّ علوان" هاته العجوز التي توفي زوجها وتركها تشقّ ظلام الحياة وحدها مع

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص159.

[2] المصدر نفسه، ص45.

[3] المصدر نفسه، ص219.

ابنها "علوان"، كانت تعيش على جمع الحطب ومن عطايا النّاس (تتّصف بالحكمة والطّيبة والإيثار والتّجذّر في الواقع الشّعبي والاجتماعي والثّقافي).[1]

فالظّروف الصّعبة التي مرّت بها جعلتها خبيرة في الحياة لكنّها لا تَكُفُّ عن الزّمجرة والشّكوى.

نجدها تشكو همّها للطّفل "حسن" "هذه الخرق البالية التي تراني فيها عمرها خمس سنوات!... اشترى لي المرحوم هذه الجبّة قبيل وفاته ومن يومها لم يكتب لي أن أضع غيرها على لحمي".[2]

والجليّ هنا أنّ الفقر والجوع شمل جميع فئات المجتمع بدون استثناء.

أمّا "سي عبد الله" قائد الدوار الذي كان يملك امتيازات يتمنّى كلّ واحد أن يحصل عليها وكان يعتبره سكّان قريته أنّه أوفرهم حظّا، لكن ما قاله للشّيخ "بوعلام" يصحّح تخمينات النّاس حوله "إنّ حقولي لا تساوي شيئا، فهي أرض عاقّة كلّها، أمّا هذا البرنس فلا قيمة له، كلّ شيء ينحصر في عملية جباية الضّرائب وملاحقة النّاس، وفي تسجيل المواليد الجدد لأجل الخدمة العسكرية، وفي تنفيذ أوامر الحاكم الإداري: عقوبات، حجز أملاك... إلخ".[3]

فالمستَعمِر يعمل جاهدًا بإعطاء "سي عبد الله" أعمالًا شاقّةً بالنّسبة لعمره، فمنذ عشرين سنة أقسم بأن يخلع برنسه إن لم يكن على قدر المسؤولية التي على عاتقه من قبل سكان منطقته "فذهب مع بعض رجال القرية إلى مكتب الحاكم ليرفعوا إليه شكاوي السكان بشأن بعض القضايا والمظالم

[1] الجمعي بن حركات، استراتيجية التّناص في روايات الهاشمي سعيداني، مجلّة علوم اللّغة العربية وآدابها، كلّية الآداب واللّغات، جامعة الشّهيد حمّه لخضر، الوادي، العدد الثّامن، سبتمبر 2015م، ص248 (بتصرّف).

[2] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص18.

[3] المصدر نفسه، ص33.

من بينها قضيّة عين الماء، فإذا يخرج من عنده في حالة هياج وعلى خدّه آثار صفعة، فيمرّ أمام رفاقه الذين كانوا ينتظرون الإذن للدّخول دون أن ينبس بكلمة واحدة".[1]

"سي عبد الله" لم يجني من هذا البرنس غير الذلّ والإهانة، فحقّق قسمه وتخلّى عن كلّ شيء ومنذ ذلك اليوم لم يعد قائدًا على منطقة "حبس الباي".

فمن أجل إسكاته قامت الحكومة بقتله فيصل الخبر إلى ابنه "أحمد" فيقولون له "أنّ شاحنة عسكرية قد دهمته حينما غادر مكتب الحاكم المدني".[2]

كما نجد "العم بوعلام" يشير بعصاه إلى الحقول الممتدّة في ضفّة الوادي الغربية ويخبر "حسن" بأنّ جدّه "سي عبد الله" تعرّض لظلم ونهب ممتلكاته من طرف العدوّ "هذه الأراضي كلّها كانت ملكا لجدّك عبد الله يا حسن ولكنّها انتقلت إلى أحد الأجانب قبل أن ينتبه صاحبها إلى ما يحدث له!...، إنّ عددًا من أبناء عمّك أصبحوا عمّالا فيه يفنون أيامهم بين ربوعها ويذيبون فيها نفوسهم حتّى إذا فجّروها نعمًا وأطيابًا رفعوا أيديهم عن ثمار جهودهم ليأووا إلى أكواخهم ببطون خاوية".[3]

هذه هي سمات المسْتَعْمِرِ نهب واستغلال وأخذ حقوق النّاس والتّمتّع بخيرات غيره واستمتاعه برؤية العمّال الضّعفاء يكدّون ويجتهدون في خدمته.

تصوّر لنا الرّواية ظلما كبيرا في حقّ العجائز ويصف أحد النّساء الذين وقعوا في قبضة المسْتَعْمِرِ "وهم يدفعون العجوز أمامهم بغلظة وقساوة، دون أن يقيموا وزنا لولولتها وتوسّلاتها".[4]

كلّ ذلك صادر من إنسان لا رحمة في قلبه من أجل الحصول على معلومات تخدم سياستهم.

---

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص33.

[2] المصدر نفسه، ص92.

[3] المصدر نفسه، ص39.

[4] المصدر نفسه، ص181.

كما نجد الرّاوي يقدّم لنا مشهدًا لامرأة عجوز تموت ميتة شنيعة "تحت الصّخرة الكبيرة التي تلتفّ حولها الرّقعة المعبّدة تجثو امرأة عجوز على ركبتيها وبجوارها حزمة حطب لكنّها لم تكن تصلّي فقد كانت عيناها جامدتين جمود الكلل الزّجاجية، وكان الجانب الأيسر من وجهها مغلّفا بطبقة من الدم الجامد!".[1]

هذه الجثّة كانت كالتّمثال على قارعة الطّريق المعبّد، فكان هدف المسْتَعْمِرِ من ورائها إخافة النّاس والاتّعاظ وعدم الاستهانة بقوّته.

05. الرّجل المظلوم:

يميل الرّوائي "الهاشمي سعيداني" إلى الرّواية الاجتماعية التي تحمل أبعادًا إنسانية، فكتب عن الرّجل الجزائري الذي يعاني من مشاكل تجعله يتخبّط في صراعات مع نفسه ومع الآخر، ورواية "المضطهدون" أحسن نموذج لذلك، حيث طغت عليها تيمة الظّلم الذي اتّخذ صورًا متعدّدة ويتجلّى هذا من خلال شخصية "أحمد" الذي كان "في منتصف العمر، ومع ذلك كان يبدو بعينيه الغائرتين، وظهره المقوّس قليلا، وعظام فكّه الناتئة، أكبر بكثير من سنّه الحقيقية".[2]

رسم الرّاوي هذه الشّخصية للدّلالة على الظّلم والاضطهاد الذي تعيشه كما أنّها تحيل على الجانب النّفسي المليء بالهموم والأحزان.

بالإضافة إلى وصفه وهو راجع من مزرعته "يجرّ قدميه على الممرّ الضيّق الملتوي بين أكواخ السكان الجزائريين في عناء ظاهر، ثمّ وصل إلى مسكنه فدفع الباب الخشبي القديم المشدود إلى

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص161.

[2] المصدر نفسه، ص10.

العارضة بواسطة عروة من القنب تآكل أكثرها بسبب الاحتكاك، ودلف بتثاقل إلى الغرفة الوحيدة في نهاية الفناء التي يتكوّن منها مسكنه".[1]

هذه الصّورة عن الفقر المذقع لسكّان "حبس الباي" الذين يعيشون في أكواخ مثل الحيوانات عاجزون على الوصول إلى مسكن لائق حيث كانوا يقضون جلّ وقتهم في خدمة أراضي المسْتَعْمِرِ هذا ما شاهده الطّفل "حسن" عندما مرّ بمزرعة (مرسيل) "فريق من العمّال الزّراعيين عاكفين على العمل مع أنّ الوقت كان باكرًا جدًّا، أكانوا يقومون بتنقية الحقل أم كانوا يجمعون الغلال؟ المهمّ أنّهم كانوا يعملون وهم منحنون بجذوعهم على الأرض، بحيث يصعب على الإنسان أن يميّز بينهم وبين قطعان الماشية، وخاصّة في ذلك الظّلام السّائد!".[2]

ويقدّم لنا الرّوائي وصفا لهؤلاء العمّال بعد انتهائهم من هذا العمل الشاق وبعد ساعات متأخّرة من اليوم "كان السكان في هذه الآونة يقطعون طرقات المزارع بأجسامهم الضّامرة ووجوههم المعفّرة بالتّراب بعد يوم شاقّ قضوه في خدمة الأرض، بينما كان جنود الكولونيل ريموند يتسكّعون في الأزقّة سكارى".[3]

التّعب والإنهاك البادیان على وجوه سكّان "حبس الباي" كان هدفه الحصول على لقمة العيش لكن المسْتَعْمِرِ بخيل معهم أشدّ البخل مُقابل أن يتمتّع هو بالخيرات والثّروات، وحتّى ولو انقرض هؤلاء العمّال "فهناك فقراء كثيرون يمكن جلبهم من مختلف بقاع البلاد ليحلّوا محلّهم في شقّ بطن الأرض، وحمل الأثقال، ورعي الماشية...".[4]

---

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص10.

[2] المصدر نفسه، ص24.

[3] المصدر نفسه، ص13.

[4] المصدر نفسه، ص46.

ضف إلى ذلك أنّهم يعيشون "في أكواخ الطّين أو القصدير ويقومون بالأعمال الشاقة تحت حفيف السياط، وينامون على الطّوى".[1]

لم يتوقّف الأمر على استغلال النّاس في خدمتهم بل تعدّى إلى نهب ممتلكاتهم مثلما حدث ل"أحمد" وهذا ما عرفناه من خلال حديثه مع "العم بوعلام" "شجيرات الصبار يا سيدي، شجيرات الزّيتون التي توارثتها العائلة أبا عن جد منذ الأزمنة الغابرة.

-ومالها؟

-أخذوها.

-أخذوها؟! لا حول ولا قوّة إلّا بالله".[2]

وللحفاظ على هاته الشّجيرات كان يطبّق القانون الذي ينصّ على دفع الضّرائب وفي هذا الشّأن يقول: "عند دفع الضّرائب كنت أبيع كلّ شيء... رؤوس الماشية، جزءًا من مؤونة الأسرة من الشّعير. حُلَيْ أم الأولاد. كلّ شيء، لأجل تلك الشّجيرات التي تعتمد اعتمادًا كبيرًا على ما تُنْبِتُهُ لنا من ثمار نستعين بها على مغالبة الجوع وسدّ الرّمق".[3]

فلا يوجد مصدر يُسترزق منه غير هذه الشّجيرات التي يَمْلَؤُ بها أفواه عائلته لكن "ثمّة شبح رهيب يُهيمن على كلّ شيء في هذه الأرض والآن يقبض بقسوة على أعناقنا ويمتصّ دماءنا قطرة قطرة... ما أكثر الواجبات على بن حبس الباي وما أقلّ حقوقه في ممارسة الحياة... لا حقوق له".[4]

---

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص47.

[2] المصدر نفسه، ص30.

[3] المصدر نفسه، ص31.

[4] المصدر نفسه، ص32.

فأبناء "حبس الباي" لا يطمعون في الكثير، لكن القليل الذي يطمحون للوصول إليه يُعتبر شبه مستحيل أمام مُسْتَعمِرٍ غاصبٍ، فنفسية كلّ واحد من هاته الأرض مثخنة باليأس والعجز وقلّة الحيلة "فتجده يقتصد أشدّ الاقتصاد، ومع ذلك يلاحقونه ليخنقوا أنفاسه باسم القانون".[1]

فالقانون الذي تحكم به السّلطات الاستعمارية يضع المواطنين على الجمر ولا يملكون القدرة على الرّفض، وبهذا يصل الاستدعاء الشّفهي من مقرّ الدّرك لأحمد جعل الأفكار تتضارب في رأسه عن سبب الدّعوة حيث "توجّه أحمد إلى الحيّ الأعلى قبيل الموعد المحدّد رافقه الفلّاحون الذين تقاطروا من أطراف المزارع والحقول بسحنات مقطبة حزينة دون أن يتبادلوا الكلام فيما بينهم، فكأنّهم كانوا يسيرون في جنازة، وكانت أحذيتهم الثّقيلة الصّلبة المزوّدة بحدوات معدنية في العقب والمقدّمة والمرقّعة في كثير من المواضع، التي حصلوا عليها من جنود الحمية الأوروبية الأمريكية خلال الحرب، تصطدم بالأحجار الكبيرة فتنتج عن ذلك قرقعة مسموعة، شبيهة بصوت سلاسل حديدية".[2]

فالصّورة التي أحاطنا بها الرّوائي دليل على الهموم المتراكمة على سكّان "حبس الباي" والفقر والعيش على مخلّفات المسْتَعْمِرِين وبوصولهم إلى المكان المطلوب قدّموا لأحمد وثيقة وأمروه بالذّهاب إلى المستشفى الموجود في المدينة في يوم الغد، وخلال هذا السّفر واجه الكثير من العثرات في طريقه إذ تعرّض للسّرقة بقوله: "أواه... أواه... خدعوني. سرقوا معطفي ونقودي".[3]

ولما أرجعوا له ما سُرق منه أكمل سيره ليجد نفسه في حيّ شعبي تحت صخب يسقط على "مسمعيه بما يثيره ماسحوا الأحذية من ضجيج وهم يتتابعون في الأزقّة المزدحمة واحدًا واحدًا وينفرون

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص31.

[2] المصدر نفسه، ص60.

[3] المصدر نفسه، ص70.

بفرشهم على العلب الخشبية المعلّقة على أكتافهم كأنّهم جوق عسكري، معترضين في نفس الوقت سبيل المارّة عارضين عليهم خدماتهم في إلحاح، فلا يكاد أحدهم يُفلت منهم إلّا بعد جُهد جهيد".[1]

هذا نوع من الأعمال الشاقة التي تحمل معنى الذلّ، لكن النّاس كانوا يمتهنوها من أجل كسب قوتهم.

أمّا السّبب الذي جاء من أجله إلى المدينة فكان خبر وفاة والده "سي عبد الله" الذي دهمته شاحنة عسكرية، وعلى إثر هذا الخبر يرجع إلى القرية التي قام رجالها باجتماع لشنّ الحرب على العدوّ وتغيير الوضع الذي يعيشونه فهم في دوّامة من الأسئلة التي لا يستطيعون الإجابة عليها "أين نحن يا ناس؟ من نكون في هذه البلاد؟ ما مصير أبنائنا وماذا أنجزنا في سبيلهم من أعمال؟ ثمّ ماذا بالنّسبة للدّين الذي في أعناقنا جميعا اتّجاه من أكلهم رصاص العدوّ من أجلنا؟ بأيّ وجه نقابلهم يوم القيامة؟ نريد أن نشرع في عمل جدّي ومجدي. نريد أن نرفع عن أنفسنا الظّلم والاستغلال".[2]

وبعد هذا الاجتماع عرف كلّ واحد مهمّته التي ينبغي أن يقوم بها واتّجهوا نحو عدوّهم لِأَخْذِ حرّيتهم منه فَقُسِّمُوا إلى عدّة فرق كلّ فرقة لها رئيس ومجموعة من الأفراد أخذ كلٌّ مكانه المناسب للهجوم على المسْتَعْمِرِ ورغم الرّعب والخوف الذي يسكنهم إلّا أنّ حبّ الوطن والثّورة على الأوضاع الصّعبة التي يعيشونها كانت أكبر بكثير من الخوف.

"فسليمان البوتاري" "كان سليل عائلة مالكة صودرت أراضيها وهو اليوم يؤجر يديه للذين استولوا على أملاكه".[3]

---

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص73.

[2] المصدر نفسه، ص95.

[3] المصدر نفسه، ص94.

فكان من الثوار الذين تسلّقوا الجبال الانتقام من المسْتَدْمِرِ، وها هو اليوم يقف وجها لوجه مع عدوّه "الاغتيال فظيع، جريمة، أفظع شيء على الإطلاق!... اغتلتمونا ألف مرّة. اغتلتمونا بألف وجه، الجوع الإهانة، الاستعباد... الاغتيال. إجهار على الحياة، والحياة هدفنا. أغلى شيء لدينا... نموت من أجل الحياة!".[1]

فأخذ ثأره وثأر وطنه بقطع رأس عدوّه لأنّ "نهاية النّضال نصر أو شهادة والشّهادة غالبا هي أمنية المناضلين".[2]

ثمّ سار ليبحث عن فريسة أخرى لكنّه سقط في شباكهم "وترك غيابه أثرًا له وزنه الكبير في نفوس الجميع!".[3]

وبعد هذه العملية الفدائية "لم يبق من فرقة أحمد غير رجلين هما فرحات والعشي، وقد نجا هؤلاء من الموت بأعجوبة غير أنّ قنبلة غادرة أصابت بشاظاياها هذا الأخير فأثخنته بالجراح".[4]

قرّر "أحمد" أن يأخذ المصاب ويغيّر المكان لكن الظّروف لم تساعدهما فكان كفاحهما "ضدّ التّعب والعطش، والألم، وضدّ القلق والعناء الجسمي والذّهني، وكان سباقا مع عقارب السّاعة".[5]

فكان نجاح جهادهم أمام كلّ هذه المعيقات وصولهم إلى دشرة مجاورة وحصولهم على قسط من الرّاحة والطّعام والدّفء فتكفّل "الرّاعي" بنقل "العشي" إلى بيت آخر في منطقة مجاورة ليتلقّى العلاج ويبقى في مأمن، وبعد خروجهما متّجهين نحو هذا البيت بقي "أحمد" في بيت "الرّاعي" ينتظر خبر

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص118.

[2] ماجد ولين ماجد عبد الهادي السّويطي، صورة الرّجل في الرّواية النّسوية الفلسطينية "سحر خليفة أنموذجا"، ص32.

[3] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص129.

[4] المصدر نفسه، ص149.

[5] المصدر نفسه، ص154.

وصولهما بسلام وفي الصّباح يلتحق بالجبل لكن في هذه الآونة جاء ثلاث رجال من الدّرك ومعهم "الصّبنيولي" يبحثون عن الرّاعي لأنّ هناك خلافات حدثت بينهما، فوجدوا المرأة العجوز قادوها أماهم بدون رحمة ولا شفقة لِتُرِيهم بيت ابنها "الرّاعي" فما مرّت إلّا لحظات و"سقط الباب المهلهل ألواحا متناثرة بركلة واحدة من جزمة الصّبنيولي القويّة، ودلف الجميع إلى الفناء كما يلج أبطال فاتحون وكرًا منحطّا، ثمّ شرع الدّيناصور البشري يدير مصباحه الكهربائي على وجوه الحضور وهو في أوجّ نشاطه".[1]

فبدأ التّفتيش في أرجاء البيت فعثروا على "أحمد" مختبئ في إحدى الغرف فاشتدّ الصّراع وسقط "الدّيناصور البشري" ومعه دركي، أمّا الدّركيان الآخران "فطوقوا البيت وهجموا عليه بالقنابل اليدوية فاستشهد مسؤول الدّشرة، وزوجته، وأمّ الرّاعي وفقد الرّاعي ساقه، وأصيب أحمد بجراح بليغة".[2]

فقادوه إلى السّجن ذلك "المكان المشؤوم للإنسان فهو يوحي دائمًا بالحزن والعذاب والذلّ والقمع والظّلم وهو وسيلة قمع كان يستعملها المستعمر ضدّ الشّعب الجزائري".[3]

فالرّوائي وصفه وصفا دقيقا مع تلك المعاملات الوحشية التي يعاملون بها السّجناء.

فيستمرّ مسلسل العنف والظّلم ضدّ "أحمد" الذي أخذ صفعة قويّة في بداية الأمر ثمّ قام جندي و"ملأ دلوًا كبيرا بالماء وأفرغه على رأس السّجين، ومرّت دقيقتان أخذت أسنانه خلالهما

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون، ص182.

[2] المصدر نفسه، ص183.

[3] حفيظة صابر، نسيمة أعمر بن صابر، الصّراع الحضاري في الرّواية العربية الجزائرية رواية "المرفوضون" لإبراهيم سعدي أنموذجا، مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماستر، كلّية الآداب واللّغات، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، قسم اللّغة والأدب العربي، 2011م-2012م، ص33.

تصطك من البرد زيادة على الإرهاق الشّديد الذي كان يشعر به عشرات السّاعات التي قضاها في زنزانته المظلمة مع هواجسه وأفكاره المتضاربة؛ لم يذق فيها طعما للنّوم والرّاحة ولم يبصر فيها النّور".[1]

فبدأ العذاب يزداد في كلّ مرّة حيث أفرغوا عليه دلوا ثانيا من الماء مع ضربة عنيفة على رأسه جعلته يحسّ بالاختناق ويفقد وعيه فتجمهر الجلّادون حوله يضحكون ويستهزئون بحالته "فتقدّم إليه صاحب العينين الرّصاصيتين بعد لحظات، فسحق أصابعه على الأرض بضربة قويّة من كعب حذائه الثّقيل وصاح فيه: هيا قف واستعدّ!".[2]

حاول جاهدا الاستجابة للأوامر، وما إن وقف على رجليه تقدّم "الجلّاد الخنزير" ووجّه "إليه ضربة بأداته الخاصّة على موضع الصّدمة الأولى ضربة ليست ألطف من سابقتها، فمال رأسه إلى الخلف لعنفها ثمّ انهار على ركبتيه ويديه، لقد أوشك الآن أن يفقد كلّ صلة تربطه بمحيطه: الزّمن، المكان الذي يوجد فيه والسّبب الذي استوجب ذلك".[3]

فأصبح لا يشعر بما يجري حوله لكن الظّالمين أعادوا له وعيه بإفراغهم عليه ماء مثلّج وصفعه، فبدأ يرتعش وازدادت وتيرة الغضب عنده وهذه الأفعال التي يقومون بها ضدّه هي لأجل استفزازه حتّى يرضخ لهم.

وأخذ صاحب "العينين الرّصاصيتين" يتحدّاه بأنّه سيفوز عليه ويسحب الكلام من فمه حول الثوار وفي هذه الأثناء "ارتفعت ذراع في الهواء لتنزل بأداة القمع الخاصّة على المكان الذي نزلت بها عليه من قبل، ورأى أحمد مساحة الأرض الصّغيرة، بين قدميه، تتمايل كسطح سفينة تتقاذفها

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون ، ص201.

[2] المصدر نفسه، ص202.

[3] المصدر نفسه، ص203.

الأمواج، ثمّ تندفع إليه بسرعة فلا يستطيع ردّها، وعندما لامست جبينه دوى شيء في رأسه وساد الصّمت والظّلام".[1]

كان التّعذيب بين الضّربات القويّة المُفْقِدَةِ للوعي وبين محاولاتهم لإفاقته من غيبوبته بالعنف، ف"أحمد" كان مستعدّا لتحمّل كلّ الآلام والإهانات ولا يبيع وطنه لهؤلاء الظّالمين.

عندما لم يتوصّلوا إلى شيء تركوه في حجرة مظلمة "خَطَفَهُ النّوم ساعة أو بعض ساعة، ولكن الآلام القاصفة سرعان ما طيّرت عنه النّعاس وما كاد يتخلّص من أثر النّوبة التي كانت قد عاودته قبيل وأثناء نقله إلى الزّنزانة حتّى تناهت إليه صرخة حادّة، آتية من بعيد، اقشعرّ لها بدنه وأبعدت عنه إمكانية العودة للنّوم نهائيّا إذ كانت أقرب ما تكون إلى صراخ امرأة!".[2]

بقي تحت تأثير الألم وصرخات المرأة المعذّبة إلى أن هجموا عليه باللّكم والرّكل "جرّدوه من ملابسه، مدّدوه على طاولة خشبية مقلوبة، ربطوا رجليه ويديه ربطا محكما إلى قوائم الطّاولة، ثمّ تقدّم الجلّاد الخنزير بملقطين نحاسيين صغيرين، مسنّنين من الطّرفين ومتّصلين بسلكين كهربائيين وأخذ يصدمهما ببعضهما بسرور والشّرر يتطاير منها".[3]

كانت شدّة التّيار الكهربائي السّاري في جسم السّجين بين النّقصان والزّيادة فيدوّي بصرخات مروّعة ومع ذلك يشتدّ عناده بأن لا يستسلم لهذا العدوّ إلى أن وصل هذا الأخير "ومدّ يده في حركة سريعة وسحق بقيّة اللّفافة التي كان يدخّنها بين شَفَتَيْ الأسير، ثمّ قام بوصل تماس دارة التّيار وأمسك

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون ، ص205.

[2] المصدر نفسه، ص211.

[3] المصدر نفسه، ص214.

بجهاز تنظيم السّريان الكهربائي، فأخذ يخفّف من قوّته شيئا فشيئا والسّجين يحتضر حتّى حدّته تماما ثمّ يرسله فجأة دفعة واحدة يتلوّى لها الجسم المصلوب من فرط الألم البالغ كأنّه يتقلّب على النّار!".[1]

استمرّت عمليّة التّعذيب بشتّى ألوانه وقتا طويلا في مقابل هذا نجد الجنود يستمتعون بألمه وصراخه المتزايد ثمّ سحبوه إلى "الزّنزانة المظلمة مكث في مكانه برهة من الزّمن ريثما يستجمع قواه ويتعوّد بصره على الرّؤية في ذلك السّواد القاتم، ثمّ أخذ يحبو إلى فراشه المصنوع من الخيش المحشوّ بالقشّ وألقى بنفسه عليه، فإذا بشيء حادّ ينغرز في لحمه، فقد استبدلوا فراشه بخشية مخلّلة بالأسلاك الشّائكة!، وعاد فتكوّم ركن الزّنزانة على الأرض العارية، كان البرد القارس والآلام المبرحة يحرمانه من النّوم".[2]

وبإشرافه على الهلاك أخذوه إلى المستشفى لأجل تضميد جراحه فهُم لا يريدون قتله بل تعذيبه أوّلا لسحب معلومات حول ما يجري في الجبال مع جماعات الثوار.

فكانت تُسلَّمُ كلّ الأعمال الشاقة للسّجناء من تلميع زجاج النّوافذ، وجلب الماء من البئر، المسح والكنس "وجاء دور نقل سلال الأقذار والمهملات إلى القمامة وفيما كان الأسيران يجتازان الفناء الواسع وهما يترنّحان تحت ثقل السّلال المرهقة شاهدا طابورًا طويلا من الأسرى العراة إلّا من جلودهم وهم يتقدّمون واحدًا أمام جندي كان يغمس فرشاته ذات المقبض الطّويل في برميل فيه سائل أصفر اللّون ثمّ يرفعها ليطلي بها أجسامهم!!".[3]

مكان رمي القمامة بعيد جدّا عن السّجن وكانت طريق الوصول إليه وعرة بمرتفعاتها ومنخفضاتها، وكلّ سجين يجب أن يتحمّل ثقل السّلة التي على ظهره فإن أوقعها فسينال الجَلْدَ

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون ، ص215.

[2] المصدر نفسه، ص216.

[3] المصدر نفسه، ص217.

القاسي بالسّياط، المكان لم يكن خاصّا برمي القاذورات والنّفايات "بل كان هناك الأسرى الذين سبق ذكرهم وهم راقدون وسط أكوام المهملات من زجاجات خمر محطّمة، وعلب أطعمة محفوظة فارغة أو نصف ممتلئة، وقد هجمت أفواج الحشرات والذّيدان على أجسامهم العارية تحت أشعّة الشّمس، مجذوبة بالمربّى اللّذيذ الذي دهنوا به".[1]

فكان المعذَّبون إذا اشتكوا العطش قُدّم لهم ماء الاستحمام المليء بالأوساخ والصّابون فكلُّ هذا الاستعباد يستمرّ إلى أن يحين موعد محاكمتهم أو موتهم من شدّة العذاب وعدم القدرة على التّحمّل.

والرّوائي يقدّم لنا وصفا عن حالة السّجناء وهم في طريقهم إلى المحكمة "مرّت حافلة محشورة بالركاب، وكان هؤلاء وقوفا جميعا، أذرعهم معلّقة إلى المقابض المثبّتة في السّقف وجذوعهم تتأرجح كالذّبائح في غرفة التّبريد، ووجوههم جامدة كئيبة بينما الصّندوق الكبير ينطلق بهم في اتّجاه معيّن بقوّة القدر وجبروته".[2]

قُدِّمَتْ لنا هذه المشاهد القاسية لأجل إحاطتنا بالجوّ السّائد في فترة زمنيّة محدّدة من عُمْرِ الاستعمار، كما أنّها دليل على قوّة الشّعب الجزائري وصموده أمام المستعمر وسياسته.

فالرّوائي "الهاشمي سعيداني" جعل من روايته فيلما لكثرة المشاهد والظّلم والاضطهاد أخذ عدّة أوجه شمل جميع فئات المجتمع

[1] سعيداني الهاشمي، المضطهدون ، ص218.

[2] المصدر نفسه، ص309.

الخاتمة

وختاما؛ وبعد الإحاطة بصورة المظلوم في رواية "المضطهدون" تمكّنت من رصد مجموعة من النّتائج:

1. انفتاح الرّواية العربية على الرّواية الغربية عن طريق الوسائط الجماهيرية (الصّحافة).
2. الرّواية جنس أدبيّ واسع يستطيع التّطرّق لجميع مواضيع الحياة.
3. الرّواية العربية الجزائرية السّبعينية هي بداية فعلية لإبداع قريب من النّضج الفني وموضوعها هو الثّورة وأحداثها.
4. مرحلة الثّمانينيات هي ثورة على المألوف من أجل التّغيير والتّجديد لمواكبة هموم المجتمع وهذا ما يسمّى "بالحداثة".
5. الرّواية العربية الجزائرية في مرحلة التّسعينيات هي بطاقة هويّة لوطن مسلوب الحرية، عالجت موضوع العنف والإرهاب.
6. صنعت رواية "المضطهدون" الظّلم موضوعا لمتنها الحكائي فصوّرت الواقع القاسي والمؤلم على شريحة إنسانية معيّنة.
7. صوّر "الهاشمي سعيداني" تيمة الظّلم مع مختلف فئات المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**

أ. **المصادر:**

1. إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا.
2. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997م.
3. إسماعيل بن حمّاد الجوهري، معجم الصّحاح، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2008م.
4. جمال الدّين أبي الفرج عبد الرّحمن بن الجوزي، نزهة الأعين النّواظر في علم الوجوه والنّظائر، دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الرّاضي، مؤسّسة الريالة، 1987م.
5. جيرار جهامي، موسوعة مصطلحات الفكر العربي والاسلامي الحديث والمعاصر، الجزء الثّالث (1940م-2000م)، مكتبة لبنان ناشرون، 2002م.
6. الحافظ عبد الرّحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، شرح حديث لبيك اللّهم لبيك، تحقيق: الوليد بن عبد الرّحمن بن محمد آل فريان، دار عالم الفوائد، 1417هـ.
7. الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللّغة، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، 2001م.
8. رفيق العجم، موسوعة المصطلحات علم التّاريخ العربي والاسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، 2000م.
9. زهير بن أبي سلمى، الدّيوان، شرحه وقدّم له الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، لبنان، 1988م.
10. سعيداني الهاشمي، المضطهدون، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.
11. شهاب الدّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، الرّسالة العالمية، 2013م.

12. أبو العتاهية، الدّيوان، دار بيروت، 1986م.
13. علي بن أبي طالب، الدّيوان، جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، 1988م.
14. علي بن محمد بن علي الجرجاني، التّعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتّراث، 1403هـ.
15. أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف ب "الرّاغب الأصفهاني"، المفردات في غريب القرآن، المحقّق: مركز الدّراسات والبحوث بمكتبة مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز.
16. القاضي عبد النّبي بن عبد الرّسول الأحمد نكري، موسوعة مصطلحات جامع العلوم (الملقّب بدستور العلماء)، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النصّ الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، التّرجمة الأجنبية: محمد العجم، مكتبة لبنان ناشرون، 1997م.
17. المتنبي، الدّيوان، دار بيروت، 1983م.
18. مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2009م.
19. محمد بن إدريس الشّافعي، الدّيوان: الجوهر النّفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1988م.
20. مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم، دون تاريخ.
21. أبو هلال العسكري، الفروق اللّغوية، التّحقيق والتّعليق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثّقافة، القاهرة، 1997م.
22. يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النّمري الأندلسي أبو عمر، التّمهيد لما في المطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، الأوقاف والشّؤون الإسلامية، المغرب، 1987م،

ب. المراجع:

1. إبراهيم سعدي، دراسات ومقالات في الرّواية، منشورات السّهل، الجزائر، 2009م.
2. إدريس بودية، الرّؤية والبنية في روايات الطّاهر وطّار، منشورات بونة للبحوث والدّراسات، عنابة، الجزائر، 1432هـ-2011م.
3. زهور كرام، الرّواية العربية وزمن التّكوّن، دار الأمان، الرّباط، 2012م.
4. سعيد سلّام، التّناصّ التّراثي، الرّواية الجزائرية أنموذجا، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010م.
5. سعيد يقطين، قضايا الرّواية العربية الجديدة (الوجود والحدود)، رؤية للنّشر والتّوزيع، 2010م.
6. صالح مفقودة، المرأة في الرّواية الجزائرية، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، قسم اللّغة والأدب العربي، 2009م.
7. عامر سعيد الزّيباري، أحكام الخلع في الشّريعة الإسلامية، دار ابن حزم، لبنان، 1997م.
8. عبد الله ركيبي، تطوّر النّثر الجزائري الحديث (1830م-1974م)، الدّار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1978م.
9. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرّواية (بحث في تقنيات السّرد)، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م.
10. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا... وأنواعا...وقضايا وأعلاما)، ديوان المطبوعات، بن عكنون، الجزائر، 1995م.
11. محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصّالحين من كلام سيّد المرسلين، دار الوطن للنّشر، الرّياض، 1425هـ.

12. واسيني الأعرج، اتّجاهات الرّواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التّاريخية والجمالية للرّواية الجزائرية، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

ج. المجلّات:

1. الجمعي بن حركات، استراتيجية التّناصّ في روايات الهاشمي سعيداني، مجلّة علوم اللّغة العربية وآدابها، كلّية الآداب واللّغات، جامعة الشّهيد حمّه لخضر، الوادي، العدد الثّامن، سبتمبر 2015م.
2. حسين وحيد، علي جبّار، ماهية الإرهاب الدّولي ومراحل تطوّره، كلّية التّربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 08، 2012م.
3. عثمان محمد غنيم، الظّلم وانعكاساته على الإنسانية رؤية شرعية، كتاب الأمّة، قطر، العدد 164، 1435هـ.
4. محمد رفيق فرخ أحمد عبد القادر، الظّلم بين الإسلام والهندوسية والبوذية دراسة مقارنة، مجلّة جامعة طيبة الآداب والعلوم الإنسانية، كلّية الآداب، قسم الدّراسات الإسلامية، المملكة العربية السّعودية، العدد09، 1437هـ.

د. الرّسائل الجامعية:

1. حفيظة صابر، نسيمة أعمر بن صابر، الصّراع الحضاري في الرّواية العربية الجزائرية رواية "المرفوضون" لإبراهيم سعدي أنموذجا، مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماستر، كلّية الآداب واللّغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، قسم اللّغة والأدب العربي، 2011م-2012م.
2. زهرة غرناوط، صورة الطّفل في القصّة القصيرة الجزائرية المعاصرة (1980م-2010م) دراسة نماذج، مذكّرة مقدّمة لنيل درجة الماجيستر، كلّية الآداب واللّغات، جامعة اكلي محند أولحاج، البويرة، قسم اللّغة والأدب العربي، 2012م-2013م.

3. فاطمة عكاشة، البنية السّردية في "الحفر في تجاعيد الذّاكرة" لعبد الملك مرتاض، مذكّرة مقدّمة لنيل درجة الماجيستر، كلّية الآداب واللّغات والفنون، جامعة وهران، السّانيا، 2012م-2013م.

4. فايزة بونقاش، نزيهة حاج جيلاني، صورة الآخر في كتابات محمد ديب (رواية هابيل أنموذجا)، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة ماستر، كلّية الآداب واللّغات، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، قسم اللّغة والأدب العربي، 2016م-2017م.

5. ماجدولين ماجد عبد الهادي السّويطي، صورة الرّجل في الرّواية النّسوية الفلسطينية، "سحر خليفة أنموذجا"، رسالة لاستكمال متطلّبات درجة الماجيستر، جامعة الخليل، عمادة الدّراسات العليا، برنامج اللّغة العربية وآدابها، 1433هـ-2012م.

6. محمد إبراهيم أحمد سيف، إنكار الظّلم في ضوء الكتاب والسنّة، أطروحة لاستكمال درجة الماجيستر في أصول الدّين، كلّية الدّراسات العليا، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2007م.

7. منى بزعي، التّجربة الرّوائية عند أحلام مستغانمي في ميزان النّقد المعاصر، "ذاكرة الجسد أنموذجا"، مذكّرة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللّغة والأدب العربي مسار نقد أدبي حديث ومناهجه، كلّية الآداب واللّغات، جامعة العربي بن مهيدي، قسم اللّغة والأدب العربي، 2014م-2015م.

8. نور السّادات جودي، بلاغة التّقابل في روايات عز الدّين جلاوجي، مذكّرة لنيل شهادة الماجيستر، كلّية الآداب واللّغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم اللّغة العربية وآدابها، 2013م-2014م.

9. هناء رزيق، صورة المرأة في رواية "قليل من العيب يكفي!" لزهرة ديك، مذكّرة لنيل شهادة الماستر، كلّية الآداب واللّغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، قسم الآداب واللّغة العربية، 2015م-2016م.

و. مواقع الأنترنيت:

1. شادية بن يحي، الرّواية الجزائرية ومتغيّرات الواقع www.diwanalarab.com
2. صلاح بن سمير محمد مفتاح، حقيقة النّفس في القرآن الكريم ومعانيها www.alukah.net .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصّفحة
بسملة	----------
إهداء	----------
شكر وعرفان	----------
مقدّمة	أ-ج
المدخل	01 - 12
01. نشأة الرّواية العربية	02-04
02. بدايات الرّواية الجزائرية	04-12
الفصل الأوّل: المظلوم قراءة في المفهوم والمصطلح والأنواع	13-50
المبحث الأوّل: مفهوم المظلوم	14-19
المبحث الثّاني: مصطلح المظلوم	20-30
01. في القرآن الكريم	24-26
02. في السّنة النّبوية	26-28
03. في الشّعر العربي	28-30
المبحث الثّالث: أنواع المظلوم	31-50
01. ظلم الإنسان في حقّ نفسه	32-42
02. ظلم الإنسان لغيره	42-50
الفصل الثّاني: تجلّيات صورة "المظلوم" في رواية "المضطهدون"	51-83
المبحث الأوّل: تجلّيات المظلوم في العنوان	52-54

المبحث الثّاني: تلخيص الرّواية	58-55
المبحث الثّالث: صورة المظلوم في الرّواية	83-59
01. الطّفل المظلوم	64-60
02. الشّاب المظلوم	67-64
03. المرأة المظلومة	70-67
04. العجوز المظلوم	73-70
05. الرّجل المظلوم	83-73
خاتمة	85-84
قائمة المصادر والمراجع	92-86
فهرس الموضوعات	95-93

ملخص:

تحاول هذه الدّراسة أن تُميط اللّثام عن موضوع الظّلم في الرّواية الجزائرية وتتّخذ من رواية "المضطهدون" للهاشمي سعيداني أنموذجا لها.

الكلمات مفتاحية : الرّواية – الرّواية الجزائرية – المضطهدون – الهاشمي سعيداني – موضوع الظّلم – أشكاله.

Resumé:

Cette étude tente de lever le voile sur le thème de l'injustice dans le roman Algérien et comme exemple on prend l'histoire le roman de Hachemi Saidani intitulé : « Les opprimés » comme exemple et référence.

Mots clé : Le roman – Le roman Algérien – Les opprimés - Hachemi Saidani – Le thème de l'injustice - Les formes de l'injustice.

Abstract:

This study Aries to develop and to uncover the subject of Injustice in The Algerian novel and takes « The oppressed » of Hachemi Saidani as a model.

Keywords: The novel – The Algerian novel – The oppressed – Hachemi Saidani- The theme of injustice – The forms of injustice.